مجلة بحوث
كليـــــــــــــة الآداب

سلسلة إصدارات خاصة

النزعة الرومانتيكية فى فلسفة هنرى برجسون

إعـــــداد
د / فتحى محمد نبيه شعبان
كلية الآداب – جامعة كفرالشيخ

فبراير ٢٠١٢

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rjfa2012@ Gmail.com

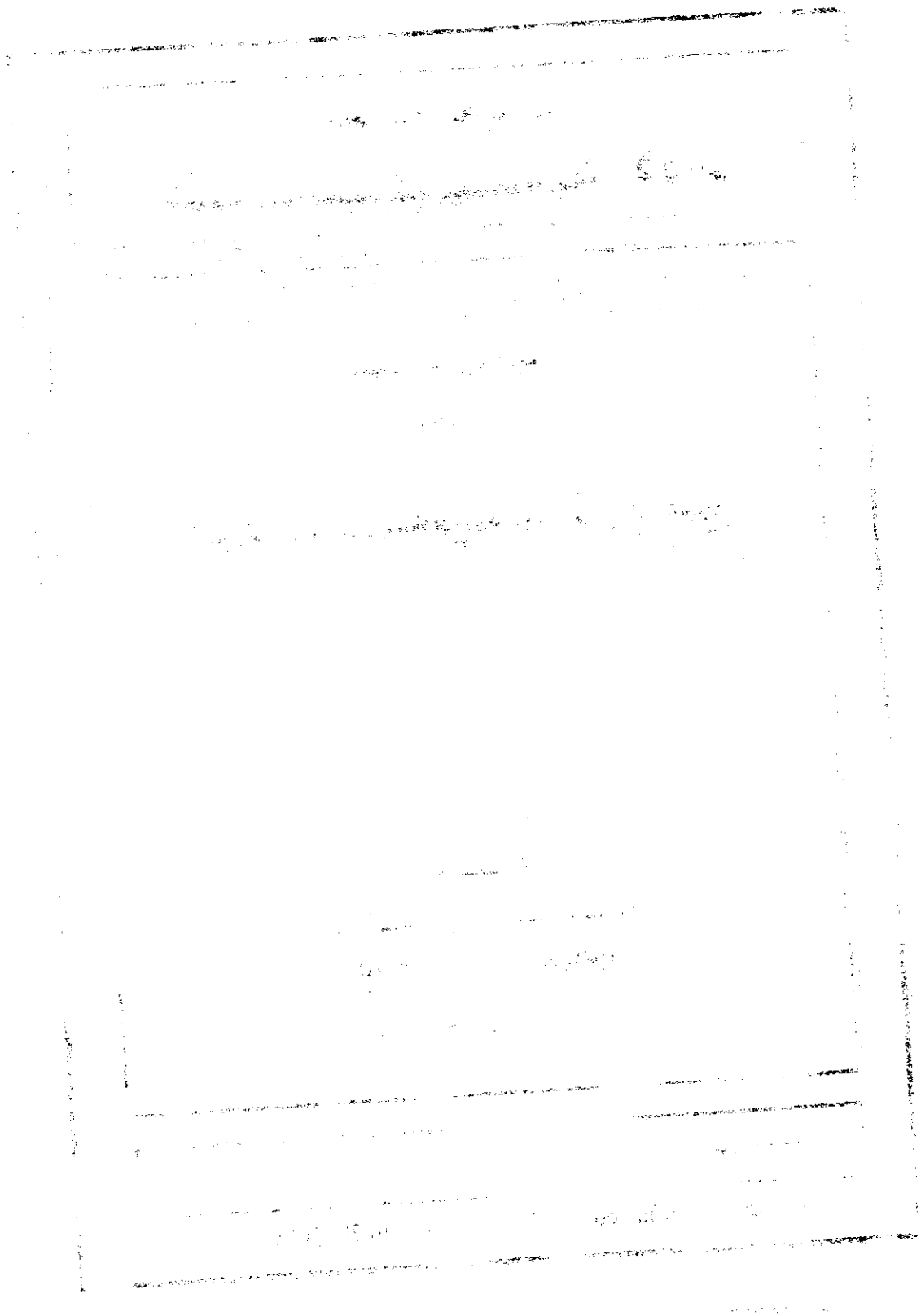

النزعة الرومانتيكية في فلسفة هنري برجسون

د/فتحي محمد نبيه شعبان

كلية الآداب- جامعة كفر الشيخ

مقدمة

تركز الرومانتيكية منذ نهضتها الحقيقية في القرن التاسع عشر على الحياة ومختلف مظاهر الروح الإنسانية. فالمذهب الجدلي ثلاثي الحدود الذي اخترعه هيجل يعد تعبيراً قوياً عن نزعته الرومانتيكية لكنها رومانتيكية كلاسيكية. وإذا كان وليم جيمس قد ركز على العمل والنتائج العملية المفيدة في إطار عملية رومانتيكية فإن برجسون قد اكتشف في إطار عملية رومانتيكية روحية حدساً جديداً يختلف عن الحدس الكانطي. إن الحدس حياة حقيقية وفورية. والحقيقة التي يكتشفها عبر الواقع المتدفق والجريان الدائم تتسم بالتواصل والاستمرار. وما الحركة والتغير والزمن الباطني أو الديمومة إلا علامات على أثر الرومانتيكية، وما الدافع الحيوي والوثبة الحيوية التي تقود العضويات وتجتاح الكون بأسره إلا عملية رومانتيكية أيضاً. إن برجسون هو الذي وضع مبدأ الحياة الوثبة الحيوية في الكون. إنها المبدأ الأساسي الباطن لجميع الأشياء الحية. والوثبة الحيوية تنطلق من مصدر لا متناه يوجد داخل الكون ذاته. فالرومانتيكية تعد مذهباً مضاداً للفلسفات النظرية المجردة، وتركز على الواقع الحقيقي المشخص وعلى كل ما ليس بعقلي.

تتسم الرومانتيكية عند برجسون في جانب منها بالنفعية، فالعقل عضو طبيعي، وقوة للمعرفة المتجهة للعمل. إنه يهدف إلى التحليل وإعادة التركيب. أما الحدس فهو يشبه الغريزة، إنه هو الغريزة بعد أن سارت روحية. فالغريزة أقرب للحياة من أن تكون عقلاً وعلماً، والتكامل بين العقل والحدس سيقود إلى بلوغ الحقيقة.

لقد كانت فلسفة الحياة إذن علامة بارزة على أثر الرومانتيكية في فكر برجسون، وأدت النزعة الحيوية الرومانتيكية به إلى رفض كل الطرق النظرية

المجردة التي نسبت إلى العقل معرفة الميتافيزيقا، في حين تعد هي وظيفة الحدس، والتمييز بين العقل والحدس يقر أن وظيفة العقل هي المحافظة على الحياة، ومن ثم فهو قوة للعمل النافع، ومن هنا تتسم الرومانتيكية بالنفعية. وفي إطار هذه الأفكار فقد وضعت هذا البحث تحت عنوان **"النزعة الرومانتيكية في فلسفة هنري برجسون"**

ويرجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى عدة عوامل ومؤثرات رئيسة منها:

أولاً: إيجاد معانٍ ومفاهيم جديدة لألفاظ أو مصطلحات قديمة تناقلتها الأجيال على مدى عصور طويلة ولم تتزحزح عنها، فالحدس لم يعد ينظر إليه باعتباره رؤية عقلية مباشرة بل أصبح قوة روحية تشبه الغريزة. والعقل أيضاً وهو الذي تميز به الإنسان على أنه مفكر أو ناطق هو كذلك لم يعد ينظر إليه على أنه قوة مقدسة سامية بل أصبح ينظر إليه على أنه عضو للعمل النافع أو هو بالأحرى أصبح أداة في يد الحياة أو آلة عملية كما سيرد ذلك.

ثانياً: اكتشاف برجسون لمبدأ جديد للحياة،إنها الوثبة الحيوية التي تتحكم في تطور الحياة بأسرها بل تجتاح الكون أيضاً، إنها المبدأ الباطن لجميع الكائنات الحية.

ثالثاً: محاولة برجسون المتميزة التي سعى من خلالها إلى الاستفادة بعلوم الحياة، ووضع نظرية حيوية جديدة أزاحت المفاهيم والتصورات التي زيفت الحقيقة، وكشفت عن واقع حقيقي داخلي.

رابعاً: تمييز برجسون الحاسم بين العالم المادي عالم العلم والعقل، وبين العالم الباطني عالم الواقع النهائي عالم الديمومة والحدس، إنه ميز بين العلم والميتافيزيقا ووحد بينهما على نحو رائع ومثير، وفي إطار كل هذه العوامل والأسباب لم تغب الرومانتيكية أيضاً، لأنها النزعة التي تغلغلت في فلسفته.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن النزعة الرومانتيكية في فلسفة برجسون وبيان الاختلاف بين وظيفة العقل ووظيفة الحدس وكيف يمكن عن طريق الاتحاد بين العقل والحدس أو العلم والميتافيزيقا الوصول إلى الحقيقة النهائية أو الواقع الحقيقي؟ وفي ضوء هذا الهدف فقد استخدمت المنهج التحليلي والمقارن، ومن ثم فقد قسمت هذه الدراسة إلى ما يأتي:

الرومانتيكية وفلسفة الحياة عند هنري برجسون

- **الرومانتيكية والإطار البيولوجي**
- **الحدس والرومانتيكية**
- **السمات الرومانتيكية للوثبة الحيوية والواقع النهائي**

الرومانتيكية وميتافيزيقا الحدس في فلسفة برجسون

- **الحدس ــ الاتفاق**
- **الميتافيزيقا**
- **الحدس بوصفه إدراك**

والله أسأل أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث فإن كنت قد أصبت فهذا فضل من الله سبحانه وتعالى وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي "ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها" .

دكتور فتحي محمد نبيه شعبان

الرومانتيكية وفلسفة الحياة عند برجسون

لقد انتشر التيار الحيوي بقوة في القرن العشرين متأثراً بالتقدم الهائل الذي أحرزته العلوم البيولوجية فكان لهذا التقدم تأثيره الواضح على الفكر الفلسفي، ونظرية داروين التطورية كان لها تأثيرها الهائل في القرن التاسع عشر ثم امتد هذا التأثير إلى القرن العشرين. ومنذ ذلك الحين لم يعد ينظر إلى العقل على انه مقدس أو أنه نبع من أصل مختلف، إنه إذن أصبح ينظر إليه على أنه عضو شأنه شأن أي عضو في الإنسان له وظيفة طبيعية محددة. ومن بين هؤلاء الذين تبنوا هذه الوجهة من النظر الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون (*)

(*) يعتبر هنري برجسون أحد أهم الفلاسفة الفرنسيين في مطلع القرن العشرين. وُلد في باريس في ٨ أكتوبر ١٨٥٩. وكان أبوه موسيقياً مشهوراً وسليل أسرة يهودية ثرية هي أسرة «أبناء بيريك» أو «بركسون» التي اشتُق منها اسم «برجسون» بعد أن اندمجت الأسرة في المجتمع الفرنسي (وتغيير الاسم حتى يفقد ملمحه اليهودي أمر مألوف بين أعضاء الجماعات اليهودية). كانت أم برجسون من أصل إنجليزي يهودي، ولكنها كانت هي الأخرى مندمجة في مجتمعها. ولذا، فقد تلقى برجسون تعليماً فرنسياً علمانياً، وأظهر نبوغاً في الدراسات الكلاسيكية والرياضيات معاً. دخل برجسون مدرسة المعلمين العليا الشهيرة عام ١٨٧٨، وتجنّس بالجنسية الفرنسية عام ١٨٨٠ عندما بلغ سن الرشد. وفي عام ١٨٨١، حصل على الليسانس في الرياضيات والآداب معاً، ثم حصل على درجة الأجريجاسيون في الفلسفة عام ١٨٨١. وإذا كان تعليم برجسون فرنسياً، فإن حياته المهنية كانت كذلك أيضاً؛ فقد عُيّن أستاذاً بالكوليج دي فرانس عام ١٩٠٠، وانتُخب عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية عام ١٩٠١، ثم عُيّن بالأكاديمية الفرنسية، وحصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٠٨. (http://www.elmessiri.com).

يعتبر هنري برجسون من أكبر الفلاسفة في العصر الحديث ولعله أكبر فيلسوف على الإطلاق في النصف الأول من القرن الماضي كان نفوذه واسعا وعميقا فقد أذاع لونا من التفكير وأسلوبا من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات ولقد حاول أن ينفذ (القيم) التي أطاحها المذهب المادي، ويؤكد إيمانا لا يتزعزع بالروح. [كوميديا الموسوعة الحرة].

إن برجسون هو أهم ممثلي فلسفة الحياة الجديدة وأكثرهم جدة وأصالة، وهو الذي قدم أكمل صورة لتلك الفلسفة. ولكنه إذا كان قد انتهى إلى أن يكون على رأس تلك الحركة، فإنه لم يكن مع ذلك المؤسس لها. ومن أهم أعماله التي نالت شهرة واسعة كتابه الأول "رسالة في المعطيات المباشرة للوعي" [ظهر عام ١٨٨٩م]، يحتوي على نظريته في المعرفة،في حين يعرض كتابه "المادة والذاكرة" [ظهر عام ١٨٩٦م]، نظريته في علم النفس، ويعرض "التطور الخلاق"،

يعد هنري برجسون الشخصية الأكثر أهمية وشعبية في الحركة اللاعقلانية في القرن الحالي [العشرين] فكتاباته شأنها شأن كتابات وليم جيمس، لاقت قبولاً واسعاً لدى القراء العاطفيين خارج الدوائر الأكاديمية.(١) وبالإشارة إلى الحدس وطبيعته، فإن مؤلف برجسون يعكس تذبذبات في الفكر، أكثر من التغير. [والمقدمة للميتافيزيقا [١٩٠٣] تعرف مذهب برجسون على خلاف ما هو موجود في [المادة والذاكرة [١٨٩٦]. لكن [التطور الخلاق [١٩٠٧] تناول مرة ثانية موضوع انسجام الحدس! وعلاوة على ذلك، فإن مقدمة [العقل الخلاق [١٩٢٢ المنشور في ١٩٣٢] يظهر أيضاً هذا التعارض. وفي هذا العمل، أضاف برجسون إلى مقدمته للميتافيزيقا ملحوظة مطولة لكي يعود إلى "نزعته الاتفاقية concordism". اعتماداً على النص.(٢) والآن سنحاول البحث في الحركة الرومانتيكية في فلسفة برجسون.

[ظهر عام ١٩٠٧م]. ميتافيزيقاه المؤسسة على البيولوجيا التأملية، وفي كتابه الأخير الهام "منبعا الأخلاق والدين" [ظهر عام ١٩٣٢م] يعرض نظريته في الأخلاق وفلسفته الدينية. [إ.م. بوشنسكي ــ الفلسفة المعاصرة في أوربا ـ ترجمة د. عزت قرني ص: ١٧٥، ١٧٦.

يمثل برجسون أحد الوجوه المؤسسة للفلسفة الفرنسية المعاصرة. وهو بلور فكره بالاعتماد على تحليل نقدي للمناهج وللنتائج العلمية لعصره. وتطمح فلسفته ذات الطابع الروحي إلى أن تكون بمزلة "دعوة واعية ومتمثلة إلى معطيات الحدس". التي تمكننا وحدها من التطابق مع الحركة الحرة والخالقة للحياة والروح.

أصدر برجسون وهو في سن الثلاثين كتابه "بحث في المعطيات المباشرة للوعي" الذي يمثل محطة مهمة في مسار عمله، كونه يطبق فيه منهجاً جديداً من أجل اقتفاء الوعي الذي نمتلكه بصدد أنفسنا. كما يعرض الملامح الأولية لما سوف يشكل لاحقاً نظريته الخاصة بالمعرفة.[هنري برجسون ـ بحث في المعطيات المباشرة للوعي ـ الطبعة الأولى ترجمة د. حسين الزاوي [المنظمة العربية للترجمة ٢٠٠٩].

(1) Thilly Frank A history of philosophy revised by Ledger Wood (Henry holt and company, new York 1953) P: 615.

(2) Jr. Bielland Andrew and Patrick Burke – The Incarnate Subject – Translation by Paul B. Milan [Humanity Books United States of America 2001] P: 113 available from www.prometheusbooks. Com [Accessed 28th September 2011] .

أولاً: الرومانتيكية والإطار البيولوجي:

يتضمن هذا الموضوع عدة نقاط رئيسة تشترك جميعها في كلمة الرومانتيكية، النقطة الأولى تتناول تاريخ الحركة الرومانتيكية والبحث في خصائصها الرئيسة، والنقطة الثانية تتناول الوعي والحياة والبحث في طبيعتهما الجوهرية، والنقطة الثالثة تتناول التمييز بين وظيفة العقل والغريزة والبحث في أصلهما المشترك، والنقطة الرابعة تتناول الوظيفة البرجماتية للعقل، وهذا هو الجانب النفعي في الرومانتيكية عند برجسون.

١ــ تاريخ الرومانتيكية وخصائصها:

ترتد الحركة الرومانتيكية في أصولها إلى القرن الثامن عشر عند الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو " فلقد ركزت الرومانتيكية على العواطف والإحساسات الطبيعية في الإنسان وذلك عند الرومانتيكيين عموماً، الجدل عند هيجل والعمل عند وليم جيمس والحدس عند برجسون. يقول بيتر سنجر:"إن هيجل انطلق من تصور الوجود المجرد، وبيّن أن هذا التصور يؤدى عن طريق الضرورة الجدلية إلى تصورات أخرى أكثر إحكاما وقرباً من الواقع، وهذه التصورات الأخرى بدورها تظهر عدم التوافق وتتطلب تصورات أخرى إلى أن نصل في نهاية المطاف إلى الفكرة المطلقة".[1] لقد ركزت الرومانتيكية عند هيجل، على جانب التغير في العقل نفسه والحركة الدائبة في تصوراته الأساسية أو مقولاته حيث تتعارض ثم تلتقي في تصورات أعلى فأعلى على أساس التناقض في إطار جدل ثلاثي الحدود. إنها رومانتيكية كلاسيكية.

ويعد العالم الرومانتيكي عادة حركة تقف في مواجهة التنوير مثلما يقال أيضاً أن التنوير يعد مضاداً للنظام المسيحي الأرقى من الطبيعة. والجدير بالذكر هنا أنه في مقابل عالم نيوتن بأنواره البراقة قدم الرومانتيكيون عالمهم الليلي.

---

(1) Singer Peter, Hegel Oxford University [Press – 1982] p : 80 .

حيث إن الليل يقابل النهار أو النور، ويعني "ارتفاع الأجنحة الثقيلة للروح" والارتفاع بها إلى ما وراء الزمان والمكان إلى مجالات لا متناهية. ويمكن القول بأنه من بين الميول التي شاعت نوعاً بين الرومانتيكيين، الإحساس الشديد باللامعقول حتى في بداوته، في الحياة الإنسانية، والاهتمام بالتميز وبما هو متفرد بوصفهما متعارضين مع العمومية، سواء كان ذلك في الفن أو التاريخ أو الأنثروبولوجيا ــ ولم تمنع الأنثروبولوجيا الرومانتيكيين من الرغبة في جمع شمل العالم مرة أخرى ــ إذا استطاعوا ــ بالربط بين الذات والموضوع والمثالي والواقعي والروح والمادة، بعد قرن ــ كما اعتقدوا ــ من التقسيم والتمزيق.[1] إذن اهتم الرومانتيكيون باللامعقول، واهتموا بما هو متميز وما هو متفرد، كما أنهم كانوا على وعي شديد بأنهم يحيون في عالم خلق وتغير.

لقد تحول الكثير من الفلاسفة الرومانتيكيين إلى التصوف وعادوا التنوير. ومن بين الفلاسفة الرومانتيكيين في المانيا شيلر ماخر وريتشل، وفي فرنسا لامنيه، وفي أمريكا ثورو وأمرسون، وفي انجلترا كارلايل وراسكن. إن ريتشل قد حول الرومانتيكية من كونها مجرد فلسفة إلى تجربة صوفية. ونقد لامنيه فلسفة التنوير وكل فلسفة القرن الثامن عشر، مبادئها ومناهجها بعدما قامت به من نقد وهدم لكل العقائد والنظم القديمة. والرومانتيكيون الأمريكيون قد جمعوا بين الرومانتيكية والترنسندنتالية مثال ذلك ثورو وأمرسون. وانتهى ثورو إلى نوع من وحدة الوجود كما هو الحال عند الصوفية، أمالأمرسون فقد تأثر بفلاسفة ألمانيا في القرن التاسع عشر والمذهب الترنسندنتالي الأمريكي عنده يقوم على الأفكار الرومانتيكية مثل معرفة الذات، واحترام النفس. وانتهى أمرسون إلى الإغراق في التصوف كما هو الحال عند كثير من الرومانتيكيين.[2] وإن الرومانتيكيين قد عملوا على نشر الوحدة العضوية والتطور الفريد لكل صور

([1]) فرانكلين باومر _ ل:- الفكر الأوروبي الحديث ـ الإتصال والتغير في الأفكار من ١٦٠٠ إلى ١٩٥٠ ـ الجزء الثالث (القرن التاسع عشر) ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ ص ١٩ـ ٢٢.

([2]) دكتور حسن حنفي ـ مقدمة في علم الاستغراب ــ [الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٩٩١] ص:٣٥٠ــ ٣٥٣.

الثقافة القومية وبلا ريب ثمة أثر باطني في تفكيرهم الذي يحتفظ بالقول بأن هذه القوى اللاشعورية الخلاقة تتحرك وتعمل بطريقة غامضة تناهض التحليل العقلي المباشر.(١)

أما وليم جيمس فقد خلص من دراساته السيكولوجية التي أوردها في كتابه الشهير " أصول علم النفس" إلى أن الحياة النفسية كلها ومنها الحياة العقلية أو المعرفة إنما غايتها الأولى ووظيفتها الوحيدة بالنسبة إلى الإنسان هي المحافظة والدفاع عن الفرد، أي آلة عملية في يد الحياة كغيرها من الأعضاء. ولقد تأثر برجسون فيما تأثر بوليم جيمس، ونستطيع أن ندرك هذا من خلال اهتمامه بفكرة العمل، فالإنسان عند برجسون يتميز بأنه عامل.(٢). يقول جون ديوي: "أشار برجسون بأن الإنسان لربما يكون قد سمي هومو فابر Homo faber. وتميز بأنه كالأداة ــ حيوان مخترع. هذا ما اعتقد به جيداً منذ أن كان الإنسان إنساناً."(٣) يقول برجسون "ولو(*) استطعنا أن نتخلص من غرورنا ولو اقتصرنا تماماً في تعريف نوعنا على ما يقدمه لنا التاريخ وما قبل التاريخ على أنه الخاصية المميزة للإنسان وللعقل، لربما تكلمنا عن إنسان عامل لا عن إنسان حكيم"(٤). والمهم في نظر برجسون هو القول بأن الإنسان يوصف بأنه عامل وليس عاقلاً. وإن فكرة العمل التي يوصف بها الإنسان تؤكد تأثره الشديد بوليم جيمس.

---

(1) Barnes Harry Elmer __ **History of historical Writing** __ Second Revised Edition _ Dover Publications, INC. [New York 1963] pp:178.

(٢) دكتور محمد ثابت الفندي ــ **مع الفيلسوف**[دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧] ص : ١٨٩ ــ ١٩٠، ٢٠٣.

(3) Dewey John **Reconstruction in philosophy** (a mentor books published by the new American library1954) pp:73-74.

(*) Si nous pouvions nous dépouiller de tout orgueil, si, pour définir notre espèce, nous nous en tenions strictement à ce que l'histoire et la préhistoire nous présentent comme la caractéristique constante de l'homme et de l'intelligence, nous ne dirions peut-être pas Homo sapiens, mais Homo faber.

(4) Henri Bergson – **L'evolution creatr ice** [presses universitaires de france 1948] P : 140 .

ــ هنري برجسون ــ **التطور الخالق** ترجمة دكتور محمد محمود قاسم [مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤] ص: ١٣١.

وخلاصة هذا كله تتسم الرومانتيكية بخصائص وسمات نذكر منها:

أ_ اهتمامها باللامعقول، وبما هو متميز ومتفرد. إنها تحيا في عالم خلق وتغير. وتحولت الرومانتيكية من كونها مجرد فلسفة إلى تجربة صوفية.

ب_ ثمة اتحاد وثيق بين الرومانتيكية والترنسندنتالية. وهذه الأخيرة تقوم على الأفكار الرومانتيكية مثل معرفة الذات، واحترام النفس. وإن الرومانتيكية قد عملت على نشر الوحدة العضوية والتطور الفريد. وثمة أثر باطني في تفكيرها الذي يحتفظ بالقول بأن هذه القوى اللاشعورية الخلاقة تتحرك وتعمل بطريقة غامضة تناهض التحليل العقلي المباشر. والرومانتيكية تهتم بالتجربة الروحية والواقع النهائي وتنبذ كل طرائق التفكير النظري المجرد.

٢ــ الطبيعة الرومانتيكية للوعي والحياة:

تتجلى الرومانتيكية في فلسفة برجسون وتفرض سحرها عليه، فالوعي أو الشعور والذاكرة والديمومة أو الحياة في جملتها كلها علامات بارزة على أثر الرومانتيكية في مذهبه، وقد تبدى هذا في أعماله، فلنبدأ أولاً بكتابه "الطاقة الروحية". رأى برجسون أن الوعي conscience يعبر عن الذاكرة mémoire . وإن كل وعي إذن ذاكرة، إنه تكديس الماضي في الحاضر وتراكمه فيه. ولكن الوعي هو توقع المستقبل.[١] يقول برجسون:" فلتنظروا إلى اتجاه روحكم في أي لحظة. إنها تهتم بما هو موجود، ولكنها تهتم به في سبيل ما سيوجد بالدرجة الأولى. إن الانتباه ترقب. ولا يكون وعي بدون شيء من الانتباه إلى الحياة."[٢] وإن كل وعي ملازم لكل حي في الأصل، يتراخى حيث لا يكون ثمة حركة

---

(1) Bergson Henri – **L'énergie Spirituelle** – Essais et Conférences [Paris: Les Presses universitaires de France, 1967] available from Site web: http:// bibliotheque uqac uquebec. Ca/ index. htm P: 9.

ــ هنري برجسون ــ **الطاقة الروحية** ــ ترجمة دكتور سامي الدروبي ــ [الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١] ص: ٥ ــ ٦ .

(2) **Ibid** P: 9 .

ــ **الترجمة** ص: ٦.

تلقائية، ويشتد حيث تتجه الحياة إلى النشاط الحر. فإذا كان الوعي يعبر عن الذاكرة والتوقع، فلأن الوعي مرادف للاختيار choix.[1] إننا نرى من جهة، مادة خاضعة للضرورة، وعارية عن الذاكرة، أو لا تملك منها إلا المقدار اللازم لتكون جسراً بين لحظتين من لحظاتها، وكل لحظة من لحظاتها يمكن استنتاجها من سابقتها. ومن جهة ثانية نرى الوعي، أي الذاكرة مع الحرية، أي سلسلة متصلة من خلق، في ديمومة durée فيها نمو حقيقي.. ديمومة تستطيل، ديمومة يحفظ فيها الماضي غير منقسم. ويرى برجسون أن تطور الحياة في شموله، على كوكبنا هذا، نفاذاً من الوعي الخالق في المادة، جهداً يرمي إلى أن يحرر بالبراعة والابتكار شيئاً يظل أسيراً في الحيوان وينطلق نهائياً في الإنسان.[2] إن موقف برجسون ينطلق في أساسه من اهتمامه الشديد بعلم البيولوجيا، وفي هذا الميدان تتألق الرومانتيكية تألقاً واضحاً، فجوهرها الحياة وكلمات برجسون الدالة على ذلك متعددة منها الوعي والذاكرة والديمومة وغيرها. إنها تنكر المذاهب النظرية المجردة وتركز على الواقع الحقيقي وعلى كل ما ليس بعقلي.

وبالنظر إلى الجهد فإنه يعبر عن اللاعقلانية، وهذا ما تتضمنه فلسفة برجسون. إنه لم يحظ بنجاح مؤكد إلا على خطين فقط، كان النجاح جزئياً في أحدهما، وشبه تام في الآخر. فالمسار الأول هو خط الحشرات الأرثروبودية، والمسار الثاني فهو طريق الحيوانات الفقرية. في نهاية الخط الأول نجد غرائز الحشرات، وفي نهاية الخط الثاني نجد عقل الإنسان، فيجوز لنا أن نعتقد أن القوة التي تتطور كانت تحمل في ذاتها في البدء غريزةً وعقلاً، ولكنهما كانا مختلطين أو متضمنين أحدهما في الآخر. ورأى برجسون تمشياً مع نزعته الحيوية أن الطريقين الكبيرين اللذين وجدتهما وثبة الحياة l'élan vital مفتوحين أمامها،

---

(1) Ibid P:12 .

(2) Ibid P: 15 .

ـــ الترجمة ص: ١٠ ـــ ١١..

ـــ الترجمة ص: ١٦ ـــ ١٧.

طريق سلسلة الحشرات الأرثروبودية arthropodes وطريق الحيوانات الفقرية، ظهرا إذن في اتجاهين متباعدين، الغريزة l'instinct والعقل l'intelligence، وكانا في أول الأمر متداخلين. ففي أقصى الخط الأول تقع الحشرات الهيمونبترية hyménoptères وفي أقصى الخط الثاني يقع الإنسان.[١] يقول برجسون: " إن الحياة، هاهنا أيضا، تعمل من خلال عقبات لا حصر لها على أن تحقق الفردية والتكامل حتى تنجز من الابتكار والجهد أكبر مقدار، وأغنى تنوع، وأسمى صفات".[٢] فكلام برجسون هنا ينصب على وثبة الحياة وهذا هو عمل رومانتيكي في أساسه، وتمثلت نظرته إلى الحياة في أن القوة الحيوية التي تتطور كانت تنطوي في جوفها في البدء على غريزة وعقل مندمجين ومختلطين، وإن الطريقين الكبيرين اللذين وجدتهما وثبة الحياة مفتوحين أمامها، طريق الحشرات وطريق الحيوانات الفقرية، ظهرا إذن في اتجاهين متباعدين، الغريزة والعقل. حيث تربعت الحشرات الهيمونبترية على قمة السلسلة الأولى، بينما تربع الإنسان على قمة السلسلة الثانية.

إن عصر برجسون يتسم بطرح المذهب التلفيقي، والمنهج الجدلي المجرد، والمنهج التحليلي، والإهابة بالتجربة والوقائع، ومعطيات العلم.[٣] وإنتاج برجسون يعد أكمل تعبير عن الوضعية الروحية والميتافيزيقية التي تنبأ بها رافيسون.[٤] وقد هاجم برجسون التيار الميكانيكي، وقد اتسمت الحركة الفرنسية بالتوجه الروحاني الإرادي والشخصاني. وتأثر برجسون بتيار "نقد العلم" كذلك فإنه أخذ الكثير من المذاهب التطورية والنفعية في الفلسفة الإنجليزية

---

(1) **Ibid** PP: 16 – 20.

ـ **الترجمة** ص : ١٨ـ ٢٥ .

(2) **Ibid** P: 20.

ـ **الترجمة** ص : ٢٥ .

[3]) دكتور مراد وهبة ـ **المذهب في فلسفة برجسون** الطبعة الثانية [مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٨] ص: ٣٧ ـ ٣٨ .

[4]) ا. بروني ـ **مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا** ـ الجزء الثاني ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوي [دار النهضة العربية ١٩٦٧] ص: ١٧٥.

في القرن التاسع عشر الميلادي.[1] إن فلسفة الحياة عند برجسون تعكس سمات هذا العصر الذي وضع فيه برجسون مذهبه الحيوي، إنه يهتم بالتجربة الروحية والواقع النهائي وينبذ كل طرائق التفكير النظري المجرد.

إن في إنتاج برجسون طابعاً فنياً. فالعلم الدقيق، وكذلك الاطلاع الفلسفي ليس بالنسبة إليه غير وسيلة لتحقيق عياناته(*) الخلاقة. لكن من الحق أيضاً أن برجسون شاعر، أعني أنه خلاق من حيث هو فيلسوف. لقد استمد فلسفته من أعماق روحه: وفي هذه الأعماق ينبغي أن ننفذ إذا شئنا أن نجيد فهمها. لكن هذا أمراً سهلاً. ويقول لنا هذا مراراً: إن ما نحياه باطناً لا يمكن الترجمة عنه بلغة المكان. والجدير بالإشارة أن النزعة الرومانتيكية عند برجسون ترتكز على عناصر جوهرية وهي: الزمان والمدة الحقيقية والكثرة الكيفية واللاتجانس والكيف والتغير والبطون والاتصال النفسي والنفوذ المتبادل والتلقائية والحرية والتطور الخالق والوعي والروح. [2] من هنا تعبر فلسفة برجسون عن طبيعتها الرومانتيكية، إن هذه الفلسفة الروحية تبتعد تماماً عن كل ما هو مكاني وتتجه إلى العالم الباطني.

والآن ينبغي الإشارة إلى طبيعة الغريزة والعقل لنقف على حقيقة فلسفة برجسون التي تتسم بنزعتها الرومانتيكية والبرجماتية لذا فمن الضروري البحث في طبيعة العقل ووظيفته وميدان عمله، والفارق بين وظيفته ووظيفة الغريزة.

---

[1]) إ.م. بوشنسكي ــ **الفلسفة المعاصرة في أوربا** ــ ترجمة د. عزت قرني [المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٩٢] ص: ١٧٥ــ ١٧٦.

(*) إن العيان هو الحدس.

[2]) ا. بروني ــ **مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا** ــ ص: ١٧٨ــ ١٧٩ ــ ١٨٧ ــ ١٨٨.

٣ــ الرومانتيكية والوظيفة الطبيعية للعقل والغريزة:

لقد كانت لبرجسون نظرته المتميزة حول قضية العقل والغريزة يقول:"ذلك (*) أن العقل والغريزة لما بدا بالتداخل فيما بينهما فقد احتفظا بشيء من أصلهما المشترك، فلا يوجد أحدهما أو الآخر مطلقاً في حالة نقاء محض"[١] ورأى أن العقل لا يقتصر فقط على الإنسان، بل يمتد ليشمل بعض الأنواع الأخرى، ولكن مع اختلاف في درجات هذا العقل، ومن ثم يرتبط العقل عند الحيوان بالغريزة. يقول برجسون:" لا يوجد عقل (*) إلا وحف بهامش من الغريزة، ولا توجد غريزة عموما إلا وكانت محفوفة بهامش من العقل".[٢] لكنه وجد اختلافات عديدة بين العقل والغريزة بالرغم من تداخلهما وانطلاقهما من أصل مشترك يقول:" فالغريزة الكاملة قدرة على استخدام الأدوات العضوية بل على إنشائها، أما العقل الكامل فهو القدرة على اختراع الأدوات غير العضوية، وعلى استخدامها ".[٣] هذا فارق جوهري بين الغريزة والعقل، فدور هذا الأخير ينحصر في اختراع الأدوات غير العضوية واستخدامها. ومن ثم فإن العقل على هذا الأساس يعد آلة عملية في يد الحياة، إنه قوة برجماتية وعند هذا الحد يتشابه برجسون مع وليم جيمس من حيث إن العقل هو عضو للمحافظة على الحياة.

(*) C'est qu'intelligence et instinct, ayant commencé par s'entrepénétrer, conservent quelque chose de leur origine commune. Ni L'un ni l'autre ne se rencontrent jamais à l'état pur.

([1]) Bergson Henri, **L'evolution creatrice presses** P: 136 .

ــ هنري برجسون التطور الخلاق ترجمة دكتور محمد محمود قاسم ص: ١٢٨.

(*) Il n'y a pas d'intelligence ou l'on ne découvre des traces d'instinct, pas d'instinct surtout qui ne soit entouré d'une frange d'intelligence.

([2]) ibid P: 136.

ــ الترجمة ص: ١٢٨.

([3]) Ibid P: 141.

ــ الترجمة ص : ١٣٢ .

ورغم وجود اختلافات واضحة بين العقل والغريزة إلا أن برجسون يتمسك بموقفه الذي يقرر فيه أن الغريزة والعقل ينبعان من أصل مشترك. فإذا كانت الغريزة متخصصة لاستخدامها أداة محددة لتحقيق هدف محدد فإن الأداة في حالة العقل ناقصة وتعمل على الحفاظ على الكائن الحي، فإن هذه العملية لا تعني مجرد الاختلاف بين طبيعة كل منهما وإنما تعني أن أصلهما واحد ويقصد برجسون بهذا الأصل الحياة. والمعرفة تختلف في حالة الغريزة عنها في حالة العقل وهذا الاختلاف هو أيضاً لا يلغي الأصل المشترك للغريزة والعقل، وسواء كانت المعرفة في حالة الغريزة عملاً ولا وعياً، أو تفكيراً ووعياً في حالة العقل فإن أصلهما ومنبعهما واحد، إلا أن الاختلاف يكمن في دور كل منهما. والاختلاف بين هاتين القوتين يقودنا إلى أن المعرفة فطرية تنصب حول الأشياء في الغريزة وعلى العلاقات في حالة العقل، وبالرغم من هذا الاختلاف أيضاً فإن العقل لا يهبط على الإنسان من مستوى أعلى من طبيعته. ويؤكد برجسون تمسكه بالأصل المشترك للعقل والغريزة في القول بالمعرفة الفطرية للعقل بصورة ما وكذلك المعرفة الفطرية للغريزة لمادة ما.[1] هنا يكون برجسون قد تأثر بعلم الأحياء تأثراً واضحاً، ولم يعد ينظر إلى العقل على أنه قوة سامية نبعت من أصل سام منفصل تماماً عن الغريزة. وفي هذا يتشابه أيضا برجسون مع وليم جيمس في الاعتقاد بأن العقل عضو شأنه شأن كل الأعضاء، وأن وظيفته الأساسية تتمثل في الصنع واختراع الأدوات.

وأخيراً يقدم برجسون مقارنة موجزة يعبر فيها عن وظيفة العقل والغريزة. يقول:" إن (*) هناك أشياء يستطيع العقل وحده أن يبحث عنها، لكنه لن يهتدي إليها أبداً بنفسه. وهذه الأشياء هي التي تجدها الغريزة وحدها، لكنها

---

(1) Ibid PP : 141 _ 150 .

ـــ الترجمة ص : ١٣٢ـ ١٣٩.

(*) Ily a des choses que l'intelligence seule est capable de chercher, mais que, par elle-même, elle ne trouvera jamais. Ces chose, l'instinct seul les trouverait; mais il ne les cherchera jamais.

لن تبحث عنها أبداً ". [١] وهنا الآن نص من برجسون فيه تحديد الصلات والفوارق بين حدس وغريزة وعقل. يقول: "الحدس هو الغريزة بعد أن صارت زاهدة في العمل، واعية بنفسها قادرة على التفكير في موضوعها وعلى التوسع بدون حدود... وإذا كان الحدس بهذا يتجاوز العقل فإنه من العقل جاءت يقظته التي رفعته إلى هذه المرتبة التي هو فيها، إذ بدون العقل كان الحدس سيبقى في صورة الغريزة، عاكفاً على الموضوع الخاص الذي يهمه عملياً ومعبراً عن ذاته في الخارج في شكل حركات وأفعال"[٢]. تلك كانت مقارنة يسيرة بين العقل والغريزة أو الحدس، وسوف نشير بمزيد من الاهتمام إلى العقل والحدس مرة أخرى.

٤ــ الرومانتيكية والوظيفة البرجماتية للعقل:

إن العقل كما يصفه برجسون مكاني. ويضع الأشياء في خارج نطاقها. ويحوم حول مطالبه ويحددها من الخارج، ويحدد السمة الواحدة بعد الأخرى، ولذا، فلو قضت الضرورة، بناء صورة مركبة لتمثل الكل. من ثم فإن قدرة العقل على أداء أكثر أعمال التحليل دقة؛ لما تم بناؤه من قطع صغيرة يمكن أن يشتق بكل سهولة من أشتات.[٣] يقول برجسون :" فليكفنا (♠) القول بأن العقل يتميز بالقدرة غير المحدودة على التحليل تبعاً لأي قانون كان، وعلى إعادة التركيب وفقاً لأي نظام كان".[٤] ومهمة العقل تكمن في اختزال الأشياء إلى وحدات مكانية وتفسير الأشياء بمصطلحات، وهذه المهمة التي يقوم بها العقل تشبع

([١]) Ibid P : 152 .

ــ الترجمة ص : ١٤١.

[٢]) دكتور محمد ثابن الفندي ــ مع الفيلسوف ص : ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(3) Tomlin E.W.F .**The great philosophers** The western world (Skeffington and son Ltd,founded 1958) p:266.

(♠) Ou'il nous suffise de dire que l'intelligence est caractérisée par la puissance indefinite de decomposer selon n'importe quelle loi et de recomposer en n'importe quell système.

([٤]) Henri Bergson – **L'evolution creatrice** P: 158.

ــ هنري برجسون التطور الخالق ص : ١٤٦.

احتياجاتنا، إنه يهتم بالخصائص والسمات التي تخضع للقياس.(١) وعلى هذا النحو توصف نظرية برجسون بأنها رومانتيكية نفعية لأنها غيرت من طبيعة العقل. فبرجسون قد حدد الميدان الأصلي الذي يعمل فيه العقل، إنه عالم الأشياء المادية، ففيه يقوم العقل بوظيفته على الوجه الأكمل.

رأى برجسون أن الوظيفة الطبيعية للعقل تكمن في تقرير العلاقات، والعقل يتناسب مع ضرورات العمل. ويمكن استنباط صورة العقل من إمكان تحديد العمل.(٢) فالعقل قوة للمعرفة المتجهة للعمل، والعالم المادي هو ميدانه الوحيد. ومن ثم يتشابه برجسون مع البرجماتيين فوظيفة العقل عند هؤلاء تختص بالعمل الذي يحقق نفعاً، إنه قوة برجماتية ويفشل في إدراك الحياة أو الواقع الحقيقي أو الديمومة أو الروح مما هو موضوع الميتافيزيقا.(٣) يقول برجسون:" فلنقتصر على القول بأن الثابت وغير المتغير هما ما يهتم بهما العقل وفقاً لاستعداده الطبيعي، فعقلنا لا يتمثل بوضوح سوى السكون".(٤) إن العقل على هذا الأساس لم يعد عند برجسون قوة للوصول إلى الميتافيزيقا، إنه آلة عملية في يد الحياة تهدف إلى المحافظة على الذات. ومن هنا فقد غير برجسون من طبيعة العقل، فالعقل يختص بالمادة والعالم الطبيعي، ويهتم بكل ما هو ساكن ثابت لا يتحرك.

إن دور العقل قاصر على العالم المادي الساكن الذي يقع في المكان، إنه عالم رياضي منطقي علمي يستطيع أن يصل فيه العقل إلى المطلق.(٥) يقول برجسون: "إن العقل الذي يهدف إلى الصنع عقل لا يقف قط عند الشكل الحالي

---

(1)Tomlin E.W.F .**The great philosophers** The western world p:266.

(2) Bergson Henri – **L'evolution Creatrice** P: 152 – 153 .
ـــ هنري برجسون ـــ **التطور الخالق** ـــ ترجمة دكتور محمد محمود قاسم ص: ١٤١ ـــ ١٤٢.
3) دكتور ثابت الفندي ـــ **مع الفيلسوف** ص: ٢٠٢.

(4) Bergson Henri – **L'evolution Creatrice** P: 156.
ـــ هنري برجسون ـــ **التطور الخالق** ص: ١٤٤.
5) دكتور ثابت الفندي ـــ **مع الفيلسوف** ص : ٢٠٣ ـــ ٢٠٤..

للأشياء، ولا ينظر إليه على أنه شكل نهائي، فعلى عكس ذلك فإنه ينظر إلى كل مادة كما لو كان يمكن تفصيلها حسب إرادته".[1] وتلك النظرة التي أولاها برجسون اهتماماً كبيراً تتفق مع البرجماتية. إذ العقل أداة للعمل الذي يحقق فائدة أو نفع، إن هذا يعبر عن مدى تأثر برجسون بالفلسفة البرجماتية وبالتحديد برجماتية وليم جيمس.

ثانياً: الحدس والرومانتيكية:

يتطلب البحث في موضوع الحدس والرومانتيكية النظر في أمرين: الأول البحث في طبيعة الحدس ودلالاته الرومانتيكية والثاني البحث في المنهج الحدسي وجذوره الرومانتيكية.

١ــ الطبيعة الرومانتيكية للحدس:

وكما لاحظنا بالفعل، فإن تفكير برجسون ينبغي أن ينظر إليه على أنه محاولة للتغلب على كانط. وإن فلسفة كانط في نظر برجسون هي مشينة، لأنها تحذف إمكانية المعرفة المطلقة وتغرق الميتافيزيقا في التناقضات. ومنهج برجسون الخاص في الحدس هو افتراض لإعادة بناء إمكانية المعرفة المطلقة ــ هنا يمكن أن نرى تقارباً بين الحدس البرجسوني وما يسميه كانط بالحدس العقلي Intellectual intuition ــ والميتافيزيقا. ولعمل هذا، فإن الحدس بمفهوم برجسون ينبغي أن يضعنا فوق انقسام المدارس المختلفة في الفلسفة مثل النزعة العقلية Rationalism والنزعة الإمبريقية Empiricism أو المثالية Idealism والواقعية Realism.[2] يقول برجسون أن الحدس ليس هو الغريزة نفسها أو الشعور. والحدس هو نمط من التأمل. والحدس ليس فعلاً وحيداً، ولكنه مرونة للعمل النفسي. وطبقاً لبرجسون، فإن المنهج البديهي يتجاوز حدود المثالية أو

---

(1) Bergson Henri – **L'evolution Creatrice** P: 157.

ــ الترجمة ص: ١٤٥.

(2) http:// Plato.stanford.edu\entries\bergson.

والغريزة أقرب للحياة من أن تكون عقلاً وعلماً. والحقيقة، والــ"صيرورة،" حياة "الديمومة" الباطنة والوعي، وإننا لا يمكن أن ندركها فقط إلا عن طريق ملكة الحدس. وفقط عن طريق الملاحظة بغرض الملاحظة وليس بغرض العمل، والديمومة سوف تتجلى بذاتها. فجوهرها نفسي، وليس رياضياً أو منطقياً. وإن

---

(1) **Ibid** p:603.

(*) Une multiplicité qualitative, sans ressemblance avec le number; un développement organique qui n'est pourtant pas une quantité corissante; une hétérogénéité pure an sein

الفلسفة الحقة ينبغي أن تحقق التوازن بين الذكاء والحدس، لأنه فقط عن طريق الاتحاد بين هاتين الملكتين سوف تنجح الفلسفة في بلوغ الحقيقة.(١) فالحدس عند برجسون إذن هو قوة روحية تشبه الغريزة، والغريزة تميل إلى أن تكون روحية، ويتمسك برجسون بالقول بأن الغريزة أقرب للحياة من العقل والعلم، وعن طريق قوة الحدس يمكن أن ندرك الصيرورة والديمومة والوعي الباطن. والديمومة سوف تتجلى بذاتها. فجوهرها نفسي، وليس رياضياً أو منطقياً. ومهمة الفلسفة الحقة هي تحقيق التناغم بين قوة العقل أو الذكاء وقوة الحدس. وهذه كلها علامات تؤكد على أثر الرومانتيكية التي تسري في جوف التيار الحيوي التي قدمته لنا فلسفة برجسون.

والنقطة التي نود الإشارة إليها هي المقارنة بين الفلسفة البرجماتية والفلسفة البرجسونية، فالبرجماتية في تيارها الأمريكي ــ الإنجليزي تشبه كثيراً فلسفة برجسون، فهي تتضمن في داخلها فلسفة للحياة. والحقيقة عند البرجماتيين لا تعرف الثبات، إنها تخلق ألواناً من النشاط الحر. ويختلف البرجماتيون مع برجسون في أن الحدس عند هذا الأخير يعد وظيفة نظرية في أساسها، وتتسم المعرفة عند البرجماتيين بأنها معرفة عملية. وعموماً توجد مبادئ مشتركة انطلقت منها البرجماتية وفلسفة برجسون.(٢) يتفق برجسون مع وليم جيمس في القول بأن الحقيقة هي علاقة دينامية بين الفكرة والواقع الموجود. والحقيقة ليست خاصية مغروسة في الفكرة أو الحكم. والحقيقة هي الشيء الذي يحدث للفكرة، والتي تتضمن نتائج عملية من أجل العمل. وحقيقة الفكرة يمكن أن تقول لنا كيف نحقق الحوادث، وكيف نطور الخطط من أجل العمل. والحقيقة ليست علاقة استاتيكية مطابقة للثبات، والحالة المسبقة للكينونة. والحقيقة هي علاقة نشيطة

---

(1) Thilly Frank **A history of philosophy** revised by Ledger Wood p: 616.

(٢) إ.م.بوشنكسي ــ **الفلسفة المعاصرة في أوربا** ــ ترجمة د.عزت قرني ص:١٩٤.

بين الفكرة والحوادث التي ربما تتغير طبقاً للواقع المتدفق.[١] هنا وفي إطار هذه المقارنة بين الفلسفة البرجماتية وبين الفلسفة البرجسونية تتبدى الرومانتيكية النفعية، فالعقل أداة تحكمها الحياة، وهذا هو عمل رومانتيكي نفعي، وأن الحدس هو قوة نظرية يشبه الغريزة ويرتبط بالحياة وبالروح، إنه قوة نظرية تستطيع بلوغ الحقيقة المطلقة، إنه أيضاً قوة تستطيع أن تصل إلى المطلق في ميدان الميتافيزيقا. إن هذه الفلسفة البرجماتية والفلسفة البرجسونية يؤكدان طبيعتهما الرومانتيكية النفعية.

٢ــ الرومانتيكية والمنهج الحدسي:

يوصف الحدس بأنه منهج للتفكير في الديمومة، التي تعكس التدفق المتواصل للواقع ويميز برجسون بين التفكير البديهي والتصوري، ويوضح كيف يمكن للحدس والعقل أن يتحدا لإنتاج معرفة دينامية للواقع. ويميز برجسون بين صورتين للزمن: زمن مجرد وزمن رياضي. الزمن المجرد ديمومة حقيقية. والزمن الرياضي ديمومة قابلة للقياس. الزمن الحقيقي مستمر وغير منقسم. والزمن الرياضي قابل للقسمة إلى وحدات أو إلى الفترات التي لا تعكس تدفق الزمن الحقيقي. وطبقاً لبرجسون، فإن الزمن الحقيقي لا يمكن أن يحلل رياضياً. وبالنسبة للزمن المنقسم يحاول أن يخلق شرخا أو تمزيقاً في الزمن. ولكي يدرك الزمن المتدفق، فإن العقل يشكل تصورات الزمن كتكوين لحظات أو مسافات محددة. ولكن محاولة إضفاء العقلانية على تجربة الديمومة هو تزييفها والديمومة الحقيقية يمكن أن تجرب من خلال الحدس.[٢]

---

(1) http://www.angelfire.com/md2/timewarp/bergson.html

(2) http://www.angelfire.com/md2/timewarp/bergson.html

يبتعد مفهوم الحدس في منهج برجسون الفلسفي عما هو مفهوم عموماً على أنه مشاركة وجدانية أو وعي غامض. فلا يوجد شيء اعتباطي أو غامض بخصوص الحدس، والذي يعتبر منهجاً فلسفياً صارماً للتفاعل أو التناغم مع المحددات المجسدة لما هو واقعي. فالحدس هو منهج يمكن بواسطته إيجاد وتطوير مفاهيم أصيلة وفريدة للأشياء والصفات وفترات الدوام التي تتسم نفسها بالخصوصية والتفرد. فالحدس لدى برجسون هو قوة نادرة نسبياً لكنه خلاق دائماً في تاريخ الفلسفة فهو يحدث فقط عندما تستغرق المناهج القديمة والمألوفة التي يسعى الذكاء عادة لتناول الحاضر والجديد نفسها بدلاً من استخدام مفهوم يتناسب بشكل فريد مع موضوعه. فالحدس هو مفهوم بسيط بصورة ملحوظة حيث يخالف إيجازه ووحدته اللغة الفلسفية التي تعبر عنه. ولكونه ظلاً أو دوامة ترابية أكثر منه مفهوماً ملموساً واضح المعالم، فإن الحدس هو حركة ناشئة وغير دقيقة من البساطة تندلع من إنكارها للقديم وتقوم بإغراء العقل لفهم ما هو جديد من خلال لغة ومفاهيم القديم [وهكذا الزماني من خلال المكاني]. وهذا الاندلاع الحدسي ولكونه نادراً فإنه يشكل تاريخ الفلسفة. [1] هنا نستطيع أيضاً أن ندرك طبيعة الرومانتيكية النفعية في فلسفة برجسون وذلك من خلال المقارنة بين الحدس والعقل. فالحدس ليس وعياً غامضاً، وإنما هو خلاق دائماً، وبسيط ، وحركة ناشئة وغير دقيقة من البساطة، هنا تتبدى الرومانتيكية واضحة جلية من خلال عملية الخلق الحر والبساطة والحركة الدائمة التي لا تتوقف والتغير المستمر الذي لا يعرف الثبات. إن الحدس منهج يمكن في إطاره إيجاد وتطوير مفاهيم أصيلة وفريدة للأشياء. ومن هذه الوجهة من النظر يختلف الحدس عن العقل، فالنظر إلى العقل طوال تاريخ الفلسفة ظل قوة للوصول إلى المطلق في ميدان العلم والميتافيزيقا، في حين هو خاص بعالم الأشياء المادية. ومن هذه

([1]) Grosz Elizabeth – **Bergson, Deleuze and the Becoming of Unbecoming** – Vol 11, no. 2, [Parallax, 2005] PP: 7 – 8 . available from – http://www. tandf .co. uk/journals [accessed 2, October 2011] .

الجهة يعد قوة برجماتية تعتمد على العمل والنتائج النافعة المفيدة، ويصبح الحدس قوة روحية للوصول إلى المطلق في ميدان الميتافيزيقا، وباختصار تغيرت المفاهيم القديمة التي نسبت إلى العقل وظيفة الحدس، فالحدس يعارض إغراء العقل لفهم ما هو جديد من خلال لغة ومفاهيم القديم.

وبرجسون يفهم التحليل الذي يستخدمه العلم بشكل عام باعتباره منهجاً له كما هو الحال فيما يتصل بما يحلل شيئاً إلى ما هو معلوم بالفعل، وهو ما يشترك فيه شيء مع غيره. إنه ضرب من المعرفة يتسم بالقطعية والثبات بدلاً من التفرد. أما الحدس بالمقارنة فإنه ضرب من الانتقال الداخلي إلى جوهر الشيء بالكيفية التي تلائم هذا الشيء فقط وخصوصيته في كل تفاصيله. فهو ضرب من المشاركة الوجدانية عن طريقه تتواحد صفات الشيء تماماً في تناغم بسيط وفوري فيما يتصل بالديمومة الداخلية للحياة والخصوصية المطلقة لموضوعاتها. وهو نوع من التجريبية المتناغمة لا تختزل مكوناته وأجزاؤه ولكن توسعها لربط هذا الموضوع بالكون نفسه.[1] وهنا أيضاً تبرز النزعة الرومانتيكية النفعية فالحدس ضرب من المشاركة الوجدانية والانتقال الداخلي إلى جوهر الشيء. وهذا عمل رومانتيكي في أساسه، في حين يختلف العلم عن ذلك أتم الاختلاف. فالتحليل هو منهج العلم وهذا هو الجانب النفعي في أساسه، فدور العلم يتمثل في عملية التحليل الخاصة بالأشياء.

وللحدس ميلان يتداخلان مع بعضهما البعض مظهراً نفس التواصل الانصهاري والذي يمثل اختلافات جوهرية واختلافات نوعية. الميل الأول لأسفل نحو الداخل إلى عمق يتجاوز حدود المنفعة العملية ومتاح لنا في لحظات التأمل تلك التي نستطيع فيها إدراك تواصلنا الداخلي أعلى وفيما وراء الفعل والنتائج

([1]) Grosz Elizabeth – **Bergson, Deleuze and the Becoming of Unbecoming** – Vol 11, no. 2, [Parallax, 2005] PP: 7 – 8 . available from – http://www. tandf .co. uk/journals [accessed 2, October 2011] .

المحددة. أما الميل الثاني فيمثل حركة عكسية يرى فيها هذا الميل المتجه لأسفل نفسه في عمق انغماسه في ذاته والتدفق الزمني الذي يميز أيضاً مظهر الأشياء في علاقاتها الحقيقية مع بعضها البعض. وإذا تعمق الشخص بصورة كافية فإنه يدرك استمرارية مع المظهر ويعود للأشياء في هيئتها المباشرة.[١] إن الرومانتيكية عند برجسون تقود إلى البحث في طبيعة الحدس التي تتضمن ميلين متداخلين ومتشابكين أيضاً، أولهما داخلي بعيد تماماً عن المنفعة العملية ويمكن تأمله. والثاني يمثل حركة عكسية يرى فيها الميل الأول نفسه في عمق استغراقه في ذاته.

فلنغص إذن في أعماق أنفسنا: فكلما كان عمق النقطة التي نصل إليها كلما ازدادت قوة الدفعة التي تردنا مرة أخرى إلى السطح. فالحدس الفلسفي هو ذلك الاتصال والفلسفة هي قوة الدفع هذه. فبالارتداد إلى السطح بالاندفاع من العمق سنستعيد الاتصال مع العلم كلما انفتح فكرنا وانتشر.[٢] إن مطالبة برجسون بقوة التعمق والاستغراق في داخل أنفسنا وإلى أبعد نقطة في ذواتنا ثم الارتداد إلى السطح مرة أخرى نقول إن هذه العملية تعبر في جوهرها عن الحركة الباطنة وهي تعبر تماماً عن الرومانتيكية. وحركة الاستغراق والاندفاع إلى السطح هي حركة متصلة ومستمرة، إنها تتم بالحدس. وتحمل عملية الانطلاق من الأعماق إلى السطح الاتصال بالعلم وعدم الانفصال عنه، فالعلم هو الميدان الحقيقي الذي يعمل فيه العقل، وللعقل وظيفة طبيعية يقوم بها، من هنا يصبح العقل أداة للحياة التي انطلق منها، والحدس قوة روحية وذلك هو التعبير عن الرومانتيكية النفعية الذي يتم من خلال الاستمرار والتواصل بين أعماق الذات الإنسانية والاندفاع المستمر مع السطح.

---

(1) **Ibid** P : 8 .
(2) **Ibid** P : 8 .

وهذه الحركة الارتدادية هي الاتصال المباشر للعضويات مع الماديات والزماني مع المكاني، وهي الحركة التي بواسطتها يضغط الفرد نفسه ويتوحد مع الآخر. فالموضوع يمس الذات، والعقل يشترك مع الشيء، والذات تستغرق في الموضوع وعلى هيئته والشيء يتحول إلى مفهومي ويصبح افتراضياً: ولكن فقط في هذه اللحظات ينطلق الحدس رغم صعوبة حشده. ويمكن أن يحدث فقط كما يقترح برجسون لأن حياتنا الداخلية واستمرار الوعي يكشفان لنا صوراً متنوعة من الاختلافات النوعية الحركة المستقبلية المستمرة للتزامن ووحدة وبساطة في الاتجاه والذي يمكن فقط إدراكه بأثر رجعي. وهذه الاستمرارية الداخلية والتي يمكن لكل الكائنات الحية النفاذ إليها بدرجات متفاوتة هي تلك الاستمرارية التي عن طريقها يمكنهم الاقتراب من الاستمرارية الخارجية للشيء ولعالم الأشياء ومن خلالها يمكن تحقيق نوع مختلف من المعرفة. (١) وتكشف الرومانتيكية النفعية عن نفسها في الحركة الارتدادية التي تحقق الاتصال والاستمرار المباشر بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، وفي هذه العملية المستمرة ينطلق الحدس.

ثالثاً: السمات الرومانتيكية للوثبة الحيوية والواقع النهائي:

وتحت هذا العنوان ينبغي الإشارة إلى نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى الوثبة الحيوية بوصفها أساس النزعة الرومانتيكية عند برجسون، والنقطة الثانية الرومانتيكية والواقع النهائي.

١ـ الرومانتيكية والوثبة الحيوية:

إن الرومانتيكية التي تتسم بها فلسفة برجسون تكمن عنده في الوثبة الحيوية، لقد قال برجسون، إن التطور هو أفضل تفسير لشروط الدافع الحيوي Vital impulse، [الوثبة الحيوية]، التي تقود جميع العضويات organism

---

(١) Ibid P : 8 .

بصورة مستمرة نحو أكثر أنماط التنظيم تعقيداً وارتفاعاً. والوثبة الحيوية هي المبدأ الأساسي الباطن interior element لجميع الأشياء الحية– وهي القوة الخلاقة التي تتحرك في استمرارية غير منقطعة عبر كل الأشياء. وعندما يستطيع العقل أن يدرك فقط الأشياء الاستاتيكية، فإنه لا يكون قادراً على إدراك الوثبة الحيوية، لأن هذه جوهر الديمومة والحركة و"كل تغير وكل حركة، [تكون] غير قابلة للانقسام على الإطلاق." وبالنسبة لبرجسون، فإن المعرفة هي نشاط عابر؛ فالأكثر أساسية ولذا فالانتخاب الأولي، هو العيش. والحدس والوعي، ليسا عقلاً تحليلياً analytic intellect، يدرك هذه الحياة الأولية ويكتشفها على أنها عملية مستمرة وغير منقسمة لجميع الأشياء التي تعد تعبيرات وليست أجزاء. وكل الأشياء مدفوعة بهذه الوثبة الحيوية؛ والوثبة الحيوية هي الواقع الأصلي. ونحن نكتشفها أولاً عبر الوعي الفوري لاستمرارنا الذاتي: ونكتشف أننا خالدون.[1] فالوثبة الحيوية كما يصفها برجسون إذن هي المبدأ الأساسي الباطن لجميع الأشياء الحية. والعقل لا يستطيع أن يدرك الوثبة الحيوية، لأن هذه الأخيرة هي جوهر الديمومة والحركة، والوثبة الحيوية مبدأ لا عقلي، ومن ثم رومانتيكي لأنها أساس الديمومة وجوهر الحركة أيضاً، إن هذه المقارنة التي يقيمها برجسون بين الوثبة الحيوية وعجز العقل عن إدراكها إنما تكشف عن الطبيعة الرومانتيكية لفلسفته الحيوية.

وأخيراً هنا حيث ينبغي على الحدس أن يتحدى العقل، لأن العقل يتحول عن وظيفته الطبيعية، وبذلك يزيف الحركة إلى الحالات الاستاتيكية. وأن الحقيقة التي يستخرجها الحدس من الواقع هي تلك التي تستمر، وأنها لا يمكن أن تكون مختزلة في أجزاء، وأن عملية الإبداع الناجمة عن الوثبة الحيوية هي عملية نهائية. "وللحصول على معرفة عدم الاختزال irreducibility والتزييف

---

(1) Stumpf Samuel Enoch **Socrates to Sartre A history of philosophy** (The McGraw hill companies 1999)pp :406 – 407 .

irreversibility هذا، "يقول برجسون: "ونحن (*) ينبغي أن نبطش بالعقل، والمضي على نحو مضاد إلى النزعة الطبيعية للذكاء. ولكن ذلك هو تماماً وظيفة الفلسفة."(١) إن برجسون يميز بين الحدس وبين العقل، فالحدس يعمل في ميدان الديمومة والصيرورة والحركة، ومن ثم فالحقيقة التي يصل إليها هي حقيقة نهائية وإن على الحدس أن يتحدى العقل، فهذا الأخير يزيف الحركة ويحولها إلى حالات استاتيكية، في هذه النظرة يغير برجسون من شكل العقل ليبدأ من الاتجاه العكسي أي من الوظيفة الطبيعية للعقل.

ففي حين يجب أن يصف العقل التطور باعتباره خطاً متفرداً يتحرك تصاعدياً بغير توقف خلال درجات قابلة للقياس، يقترح الحدس ميولاً متعارضة في العمل. يقول برجسون، إن الدافع الحيوي يتحرك في ثلاث اتجاهات واضحة، إنتاج الكائنات النباتية، والأنثربودية والفقاريات [مشتملة، نهائياً، على الإنسان]. ويقول إن التمييز بين العقل والحدس حدث بظهور العقل والمادة معاً، وهذان قد اهتما بالعمل معاً: "عقلنا بالمعنى الدقيق للكلمة، هو الاهتمام بالتأمين على المواءمة الكاملة لجسدنا في بيئته، لكي تمثل علاقات الأشياء الخارجية بين أنفسها ــ وباختصار للتفكير في المادة." وعلاوة على ذلك،" المادة تتساوى مع الهندسة." لكن ليست المادة ولا الأعداد الهندسية ممثلة للواقع النهائي.(٢) إن العقل عند برجسون هنا هو عضو شأنه شأن كل الأعضاء له وظيفة عملية. وثمة مقارنة أقامها برجسون للتمييز بين عمل العقل وعمل الحدس، فوظيفة العقل تكمن في وصفه للتطور وفي الإصرار على تأمين المواءمة الكاملة لجسدنا في بيئته لكي تمثل علاقات الأشياء الخارجية بين ذواتها. أما الحدس فإنه يقترح

(*) we must do violence to the mind, go counter to the natural bent of the intellect .But that is just the function of philosophy.

(1) *Ibid p:407.*

(2) Ibid p:407.

ميولاً متعارضة في العمل. وهنا تبدو الرومانتيكية واضحة جلية وتعبر عن نفسها أيضاً من خلال الاتجاهات الثلاثة للدافع الحيوي.

إن الوثبة الحيوية ينبغي أن تكون هي ذاتها مماثلة للوعي، الذي تخرج منه الحياة وكل إمكانياتها الخلاقة. والتطور هو خلق دقيق لأن المستقبل مفتوح ولا يوجد هدف"نهائي" مقدر؛ والديمومة تستمر بلا توقف، وتنتج دائماً الأحداث الطريفة على نحو أصيل. وفي النهاية يشير برجسون إلى الجهد الخلاق للوثبة الحيوية بوصفها كيان "لله (*)، إذا لم تكن هي نفسها إله".(١) إن الرومانتيكية تعمل عملها من خلال الوثبة الحيوية. فالتطور هو حركة مستمرة ومتواصلة من الخلق الدائم. والرومانتيكية ترتبط بالديمومة، والديمومة في استمرار دائم، وتتولد عنها الأحداث المثيرة على نحو أصيل.

إن الحدس حياة؛ حقيقية وفورية ــ أي الحياة التي تتصور ذاتها. وثمة شيء في الكون يشبه الإبداع الروحي للفنان، والمعيشة، واندفاع القوة، والوثبة الحيوية التي تتجنب الذكاء الرياضي والتي يمكن أن تقدر فقط بنوع عاطفي سام، والوعي الذي ينحاز للأشياء أكثر من العقل. (٢) إن فلسفة برجسون كما هو معروف توصف بأنها رومانتيكية. فالوثبة الحيوية هي مصدر تلك النزعة الرومانتيكية. والمقارنة بين الحدس والعقل تكشف عن النزعة الرومانتيكية، فالحقيقة الأصيلة عند برجسون هي أن الحدس حياة، وقوة للوصول إلى الميتافيزيقا، والعقل قوة تعمل عملها داخل العالم المادي وعالم الطبيعة المكاني ومن ثم فالعقل أداة برجماتية توظفها الحياة لخدمتها، والحدس يقابل الحياة الحقيقية الفورية، بينما يتجه العقل أو الذكاء الرياضي إلى عالم الأشياء المادية.

(*) of God, if it is not himself.
(1) Ibid p:407.
(2) Thilly Frank **A history of philosophy** revised by Ledger Wood p: 616.

إن برجسون هو الذي وضع مبدأ الحياة [الوثبة الحيوية] في الكون وقدم تصوراً مرناً للرغبة في التطور. واحتفظ برجسون بالقول بأن الله يعمل بحرية كاملة في تكشف عملية التطور.(١) إن "الوثبة الحيوية" تنطلق من مصدر لا متناه يوجد داخل الكون ذاته. واستمرار هذه الوثبة الحيوية وتعبيرها المستمر عن نفسها من خلال الزمان هو العنصر الأساسي في الكون. ومن خلال الحدس، يدرك الإنسان جوهره الشخصي باعتباره [هو ذاته] امتداداً زمنياً وحيوياً، وكذلك يدرك الامتداد الزماني المبدع الذي هو الحقيقة المطلقة. وبواسطة الذاكرة يمكن أن يستوعب الخلود بأسره في لحظة واحدة، وفي ذلك تحرير لنا من .قيود الصيرورة الطبيعية التي تخضع لها الأشياء الجامدة، فهي من ثم تحوّل الإنسان من آلة صماء في يد القوانين المادية ليصبح كائناً مدركاً حرّ الإرادة قادراً على الاختيار.(٢) إن الوثبة الحيوية في الكون وهي من اكتشاف برجسون تعبر تماماً عن نزعتها الرومانتيكية وتعبر أيضاً عن استغراقها الكامل في علوم الحياة، وقد تجلى هذا في تصوره للتطور، والوثبة الحيوية بما تتضمنه من رومانتيكية تستوجب الحرية، فالحياة الوجدانية والعاطفية تتسم بالحرية في صميمها.

إن الحياة التي اتسمت بها فلسفة برجسون كانت انعكاساً لتأثره بعلم البيولوجيا. ولم يكن برجسون وحده الذي اهتم بالحياة فقد تأثر بها أيضاً البرت اشفيتسر، إنه هو الذي قال " إن الحقيقة الذاتية للشعور الإنساني تقرر أنني حياة تريد الحياة وسط حياة تريد الحياة "(٣). "I'm life which wills to live, in the midst of life which to life" في هذه النظرة إلى الحياة نلاحظ تأثر اشفيتسر بظروف عصره، إنه العصر الذي نهضت فيه علوم الحياة، وإن اهتمامه

---

(1) Sahakian William S. , Mable Lewis Sahakian – **Ideas of The Great Philosophers** [New York 1966] P 95 .

(2) http:// www. Elmessiri. Com/ encyclopedia/ Jewish/ encyclopid/ Mg3/ Gz2/ BA12/ MD08/ Mo346.HTM .

(3) Schweitzer – **pilgrimage to humanity** , Translated by walter E. stuermann [university of Tulsa wisdom Library] P: 86.

بالحياة على هذا النحو يعد هجوماً على الفلسفات النظرية والمبادئ الميتافيزيقية المجردة. لقد كان شأنه شأن برجسون بل ربما تأثر به أيضاً في فلسفته للحياة كما يمكن أن نلاحظ أن مذهبه في احترام الحياة يتسم بالرومانتيكية.

٢ ـ الرومانتيكية والواقع النهائي:

إن النزعة الواقعية عند برجسون تعد أكثر وضوحاً من نزعة معاصريه العمليين، فقد لقيت التجربة عنده معنى أكثر صدقاً وعمقاً كما أنه ناهض بمنهجه التجريبي هذا "العقل" لا كمنبع للنزعات التصورية، وإنما كمنبع لمعرفة الحقيقة، أو "الواقع" هذا الواقع الذي تمسك به وأراد أن ينفذ إليه تجريبياً ـ بواسطة قوة غير العقل هي من قبيل التجربة الوجدانية سماها الحدس. لهذا يوصف مذهبه بأنه المذهب المناهض للعقل أو اللاعقلي أو المذهب الحدسي[١]. وفي مذهب برجسون يتحقق الارتباط بين التجربة والواقع، والتجربة في حالة برجسون تجربة وجدانية تصدق صدقاً تاماً بمقدار اتصالها بالواقع الحقيقي.

إن الواقع كما يصفه برجسون يتسم بالحركة، إنه ليس واقعاً استاتيكياً جامداً أو إعادة تنظيم للأجزاء [التي لا تتغير على الإطلاق] بل واقعاً متحركاً، والاختراع الحقيقي يتولد عن التحول، فالتحول هو أساس الاختراع، والواقع في انسيابه المتواصل والتغير الدائم ينبغي أن يتجنبا دائماً مقولاتنا العقلية intellectual categories، وللاستحواذ على الواقع، وفي فهمه في شموله، وللمعرفة بالمعنى الأكمل [وللمعرفة (*) على نحو حقيقي هو أن نعرف أننا نعرف، كما لو كان بنوع من الاعتقاد الباطن]، فينبغي علينا أن نستعين بالملكة الأخرى معاً. يعتقد برجسون أن هذه الملكة هي الحدس.[٢] لقد أعلن برجسون مع الرومانتيكيين، والبرجماتيين والمتصوفة عن عجز العلم والمنطق في النفاذ

---

(١) دكتور محمد ثابت الفندي ـ **مع الفيلسوف** ص : ١٩٥ .

(*) and to know authentically is to know that we know, as if a kind of inner conviction.

(2)Tomlin E.W.F .**The great philosophers** The western world p:266_267.

إلى الواقع النهائي؛ في ظهور الحياة والحركة الفارغة للفكر العقلي[1]. فالعلم والمنطق وهما نتاج العقل قد أثبتا فشلهما في النفاذ إلى الواقع النهائي، هنا وفي إطار هذه النظرة فإن برجسون يكون قد غير من طبيعة العقل. فالعقل ليس قوة للوصول إلى الواقع الحقيقي المتغير المتدفق.

والعلم يستطيع فقط إدراك ما يتشكل فيما هو جامد، وبقايا الخلق الساكنة، أي التي تفلت من الزمن أو الصيرورة، والتي يمكن أن نقدم بشأنها تكهنات. ومع ذلك، فإن عمل العقل لا يتحقق بدون افتراضها؛ وهي، كما أعلن البرجماتيون أداة لخدمة إرادة الحياة. ولكنها تبعاً لبرجسون، هي أيضاً أكثر من ذلك، والبرجماتية هي فقط نصف الحقيقة. والفكر العقلي يتكيف في الاستعمال مع ما هو ميت، والعالم الاستاتيكي، وعالم المادة الجامدة حيث تسود الآلية، وهنا يحرز انتصاراته الرائعة. والعقل ينزع إلى بناء هيكل ضعيف، وإطار صارم، ويستبدل مثل هذا الواقع الحقيقي بتعاقب زمني ممزق بغيض. إنه قراءة دائمة للعناصر الإستاتيكية، وإن الجواهر والعلل الأبدية في داخل الجريان والحذف، هي مجرد مظهر، وما هو غير ملائم للتخطيط المنطقي. فمثالية العلم تكمن في العالم الاستاتيكي؛ إنها تحول الزمن المتتالي إلى علاقات مكانية، ونظراً لأنها ديمومة، وحركة، وحياة، وتطور هي مجرد أوهام؛ إنها تميكنها جميعاً. والحياة والوعي لا يمكنهما أن يتعاملا رياضياً، علمياً، أو منطقياً؛ والعالم الذي يدرسها ويحللها بالرياضيات العادية ــ والطرق الفيزيائية، هو يقطعها، ويدمرها، ويفقدها معناها. والميتافيزيقي لا يمكنه أن يقدم لنا معرفة علمية بشأنها؛ والفلسفة ينبغي أن تكون رؤية مباشرة للواقع، ونظرة كلية بالمعنى الحرفي لكلمة حدس.[2] ويحاجي برجسون بالقول أيضاً بأن العقل والحدس قادران على أنواع متعددة من المعرفة. والمبادئ العلمية تكون عقلية، بينما تكون المبادئ الميتافيزيقية بديهية. وعلى أية

---

(1) Thilly Frank A history of philosophy revised by Ledger Wood P: 615.

(2) Ibid pp:615_ 616.

حال، فإن العلم والفلسفة يمكن أن يتحدا في إنتاج معرفة تكون عقلية وبديهية. هذه المعرفة يمكن أن توجد تصورات مختلفة للواقع.[1] فالعلم والمنطق إذن لا ينفذان إلى العالم الحقيقي عالم التغير والديمومة. ودور العقل وميدانه الأساسي هو الأشياء المادية، أما الحياة والوعي فلا يمكن النظر إليهما بطريقة رياضية أو علمية أو منطقية.

فإلى(*) تلخيص بعض من مبادئ فلسفة برجسون، كما أجملت في العقل الخلاق: [١] واقع حقيقي متغير، بدلاً من عدم التغير؛ [٢] واقع نهائي قابل للمعرفة عن طريق حدس مباشر؛ [٣] عقل وحدس يوفران نوعين مختلفين للمعرفة، التي يمكن أن تتكامل بإنتاج معرفة موحدة للواقع؛ [٤] المعرفة العقلية معرفة نسبية والمعرفة البديهية معرفة مطلقة؛ [٥] الحدس إدراك مباشر وتجربة متدفقة باستمرار، بدون الاستعانة بالتصورات العقلية؛ [٦] تدفق الزمن بوصفه ديمومة حقيقية يمكن أن يجرب فقط عن طريق الحدس؛ [٧] العقل يزيف إدراك الواقع باستبدال الثبات لقابلية الحركة، وباستبدال التوقف من أجل الاستمرار؛ [٨]

([1]) http://www.angelfire.com/md2/timewarp/bergson.html

(*)To summarize some of the principles of Bergson's philosophy, as outlined in *The Creative Mind*: 1) ultimate reality is changing, rather than unchanging; 2) ultimate reality is knowable by direct intuition; 3) intellect and intuition provide two different kinds of knowledge, which can be integrated to produce a unified knowledge of reality; 4) intellectual knowledge is relative knowledge, intuitive knowledge is absolute knowledge; 5) intuition is a direct perception and experience of the continuous flow of reality, without the use of any intellectual concepts; 6) the flow of time as real duration can be experienced only by intuition; 6) the intellect may falsify the perception of reality by substituting stability for mobility, and by substituting discontinuity for continuity; 7) many philosophical problems are caused by the use of conceptual instead of intuitive thinking, and are resolved by the use of intuition as a philosophical method.

والعديد من المشكلات الفلسفية سببها الاستعمال التصوري بدلاً من التفكير البديهي، ويتم حسمها باستعمال الحدس كمنهج فلسفي.[1] إن كل هذه النقاط تجسد تماماً روح وطبيعة فلسفة برجسون، إنها كذلك تبرز الطبيعة الرومانتيكية لفلسفة الحياة عنده ، فالرومانتيكية تتجلى في اهتمامه بالواقع الحقيقي المتغير، إنه واقع نهائي قابل للمعرفة عن طريق حدس مباشر. والحدس البرجسوني يعبر كذلك عن طبيعته الرومانتيكية. إنه إدراك مباشر وتجربة متدفقة باستمرار، فالرومانتيكية تقوم على المباشرة والتدفق والاستمرار. والرومانتيكية إلى جانب اهتمامها بكل ما هو متدفق ومباشر ومستمر تهتم بالزمن كديمومة حقيقية.

وخلاصة هذا كله إن فلسفة برجسون تعكس خصائص عصره فهي تنبذ التفسيرات النظرية الخالصة وتعكس في الوقت نفسه التوجه الروحي للمجتمع الفرنسي في ذلك العصر، ومن ثم فهي تعادي التفسيرات الآلية وتهتم بكل ما هو باطني وداخلي ولهذا توصف بالرومانتيكية واللاعقلية، إنها فلسفة رومانتيكية لأنها تؤكد على ما هو شخصي ومتفرد ومتميز وحر وكلها علامات بارزة على أثر الرومانتيكية في فلسفته.

الرومانتيكية وميتافيزيقا الحدس في فلسفة برجسون

إن الحدس هو الاتفاق مع الهدف [التصور الأول] أو، من ناحية أخرى، أو هو فقط حالة حدودية، مع كينونة العقل تحتاج إلى رسم صور وتصورات في إشارة إلى إعادة البناء [التصور الثاني]. في الواقع، هذا النقاش يتضمن صعوبة مستمرة تعرض لها برجسون.[2]

---

(1) **Ibid.**

(2) Jr. Bielland Andrew and Patrick Burke – **The Incarnate Subject** – Translation by Paul B. Milan [Humanity Books United States of America 2001] P: 113 available from www.prometheusbooks. Com [Accessed 28th September 2011] .

أولاً: الحدس ــ الاتفاق:

في هذا التصور الأول يوجد وبكل قوة الحدس لذاته فقط:"... إن ذاتنا، على الأقل يمكن أن تدرك جزءاً من الواقع في نقائه الطبيعي." والحدس، بعد ذلك، سيكون معرفة الذات لجزء محدود من الحقيقة. "علاوة على ذلك فإن الحدس إذن ونحن نشير إليه يتصل بالديمومة الباطنة internal duration." فإذا امتد إلى شيء آخر غيري، فهذا سيكون عن طريق وسائل لسلسلة التوسعات [راجع مقدمة إلى الميتافيزيقا: "يمكن أن نوسع ذواتنا بلا حدود شيئاً فشيئاً بجهد حثيث"].(1) إن الحدس عند برجسون يوجد لذاته وسيكون معرفة الذات لجزء محدود من الحقيقة، إنه يصف الديمومة الباطنة، والذات الإنسانية تستطيع أن تدرك جانباً من الحقيقة في نقائها الطبيعي، وإذا أردنا أن ننظر إلى الرومانتيكية فإن هذه العناصر الباطنية التي ركز عليها برجسون تؤلف جوهر الحركة الرومانتيكية.

١ــ التوسع extension الأول يشتمل على تحقيقنا للذات اللاواعية:

وبعد ذلك، فإن الحدس يعبر عن أول كل وعي، بل الوعي الفوري، والرؤية التي تميز بصعوبة بين رؤية الهدف، والمعرفة المتصلة وحتى المتماثلة. ــ والتالية إنها وعي ممتد وضغط على حافة اللاوعي الذي يقدم الوسيلة ويقاوم، ويستسلم ويرتد إلى ذاته: عبر التبادل السريع من الغموض والوضوح، إنه يجعلنا نرى أن اللاوعي موجود. إنها النظرة العابرة التي لدى أحدنا من خلال الباب المفتوح حينما يمر من الغرفة بدون أن يدخل.

---

(1) Jr. Bielland Andrew and Patrick Burke – **The Incarnate Subject** – Translation by Paul B. Milan [Humanity Books United States of America 2001] P: 113 available from www.prometheusbooks. Com [Accessed 28th September 2011] .

٢ــ التوسع الثاني يقودنا إلى "الوعي عموماً" عن طريق "التنافذ السيكولوجي psychological endosmosis." وعلى سبيل المثال، فإن هذا النوع من الحدس ينتمي إلى التخاطر telepathy.

٣ــ إننا ننطلق من الوعي عموماً إلى الحياة عن طريق التوسع الثالث:

هل بالوعي فقط نكون في تعاطف؟ وإذا ولد كل كائن حي، ونمى ومات، وإذا تطورت الحياة وإذا كانت الديمومة في هذه الحالة واقعية ألا يوجد أيضاً حدس" للحيوية intuition of the vital، ومن ثم ميتافيزيقا الحياة metaphysics of life التي ربما تزود إلى حد ما العلم بالحياة ؟[١] إن الحدس في التوسع الأول يعبر من جهة عن أول كل وعي، ومن جهة أخرى فإن الوعي يتمدد بالضغط على حافة اللاوعي. ومن التوسع الأول إلى الوعي في عمومه حيث في هذا النوع من الحدس ينتمي إلى توارد الخواطر. ومن الوعي في عمومه يتحول إلى الحياة حيث يوجد الحدس الحيوي ومن ثم ميتافيزيقا الحياة التي تنتمي إلى علم الحياة.

٤ــ أخيراً، التوسع الرابع سيقودنا إلى المادة غير العضوية. "... الكون المادي بأكمله يبقي وعينا مترقباً، ويترقب الذات. ... ويجب أن يعمل مع الحدس من خلال التغير والحركة الحقيقية كلها التي تتضمنه." ولذلك فالمادة تدرك كما لو كانت غير واعية: إنها هي التي تكون على حافة الذات. ويضيف برجسون بأن " رؤية هذا النوع فرضت على العلم فكرة الاختلاف، أو الجريان إلى حد ما." أونفس الإشارة تحدث في المقدمة إلى الميتافيزيقا حيث تشير إلى الرياضيات الحديثة: "إنني أتناول وجهة النظر القائلة بأن العديد من الاكتشافات العظيمة، من هذه على الأقل التي تحولت إلى علم إيجابي أو خلق أشياء جديدة وضعت الكثير من المناقشات في ديمومة مجردة."] الحدس، في "مجاله الحقيقي،" يتضمن ميلاً

([١]) Ibid p:114.

مشابهاً للإدراك في الأشياء، وحتى الأشياء المادية، هنا مشاركة في الروحانية."
لهذا فإن حدس العالم غير مباشر. وفي التصور الأول، لدى الميتافيزيقا هدف محدد، ومنهج أساسي: الانسجام مع العلم يصبح ممكناً على أساس مشاركة في الحقيقة. والعلم، لذلك يفي فعلاً بنصف برنامج الميتافيزيقا القديمة. ... ثم إن، الميتافيزيقا ليست أسمى من العلم الإيجابي. ... فكلاهما يحمل على عاتقه الواقع ذاته. ولكن كل منهما يحتفظ بنصفها فقط. ولهذا فإن العلم يتعرض لمعرفة ما هو غير ذواتنا. [1] وخلاصة هذا كله أن التصور الأول ينطوي على توسعات أربع أولها بلوغ الذات اللاوعية وثانيها الوعي في عمومه وثالثها التحول إلى الحياة ورابعها الانتقال إلى المادة غير العضوية، إن هذا التصور الذي يشتمل على هذه التوسعات يوضح أن للميتافيزيقا هدفاً محدداً ومنهجاً أساسياً بحيث يصبح التناغم مع العلم ممكناً وذلك على أساس من المشاركة في الحقيقة.

ثانياً: الميتافيزيقا:

إن الحدس الأساسي يظهر أن الحقيقة كلها صيرورة، وليست حياة ووعياً وحسب. لا توجد أشياء، وإنما توجد أفعالاً وحسب، والوجود في جوهره صيرورة. تقول العبارة الشهيرة لبرجسون:"هناك في الصيرورة أكثر مما في الوجود". إن العقل وحده، وبالتالي العلم، يصوران لنا أن الأجسام ثابتة صلبة. أما الحقيقة فهي أن العالم المادي نفسه في حركة، في اندفاعه، ولكنها إندفاعة السقوط والتبدد. ذلك أن هناك في رأي برجسون نوعين من الحركة في العالم: ــ الحركة الصاعدة، وهي حركة الحياة. ــ والحركة الهابطة، وهي حركة المادة. إن القانون الذي يحكم المادة هو قانون تقلص الطاقة، أما الحياة فإنها تكافح ضد هذا القانون، ولكنه ليس في مستطاعها محوه تماماً، وكل ما تقدر عليه هو أن تعوقه وأن تؤخر نتائجه.[2] والأمر الهام الذي يريد برجسون أن يجذب الانتباه

---

(1) **Ibid** p:114.

2) إ.م. بوشنسكي الفلسفة المعاصرة في أوربا ترجمة د.عزت قرني [سلسلة عالم المعرفة ١٩٩١]ص:١٨٦.

إليه هو وجود عدة قضايا أساسية وهي أولاً: أن الحقيقة كلها صيرورة، وليست حياة ووعياً وحسب، وهذا ما يبرزه ويوضحه لنا الحدس. وثانياً: إن العقل وحده، وبالتالي العلم، يصوران لنا أن الأجسام ثابتة صلبة. أما الحقيقة فهي أن العالم المادي نفسه في حركة، في اندفاعه، ولكنها إندفاعة السقوط والتبدد. وثالثاً: إن القانون الذي يحكم المادة هو قانون تقلص الطاقة، أما الحياة فإنها تكافح ضد هذا القانون.

إن برجسون هو نفسه قد وضع المادة مباشرة في العقل الخلاق، " فما الهدف من الفن إذا لم يطلعنا، على الطبيعة والعقل، خارجنا وفينا، والأشياء التي لا تتجذر بصورة مطلقة في إحساساتنا وخارج وعينا ؟ وبالتأكيد فإن الشاعر والروائي اللذان يعبران عن مزاج لا يخلقانه خارج العدم؛ فإننا لا يجب أن نفهمه بدونهما؛ إذا لم ننظر إلى داخل أنفسنا، حتى نقطة معينة، فماذا يقول عن الآخرين". إنه يسأل حضوره عن آخر كابح في نفس التجمع " لكي (*) نطرح جانباً بعض من التخطيط الزائف فإننا بجهالة نحول بين الواقع وبيننا. وما نحتاجه هو أن ننقطع عن العادات الراسخة في التفكير والشعور الذي أصبح طبيعياً فينا. وينبغي العودة إلى الإدراك المباشر للتغير والحركة".[1] إذن يطالبنا برجسون كما هو معروف بالعودة إلى الإدراك المباشر للتغير والحركة وهذه هي

(*) to put aside some of the artificial scheme we interpose unknowingly between reality and us. What is required is that we should break with certain habits of thinking and perceiving that have become natural to us. We must return to the direct perception of change and mobility.

([1]) Gontarski S.E. – **"what it is to have been": Bergson and beckett on Movement, Multiplicity and Representation** – Journal of Modern Literature @ [Indiana university press 2011] P : 68. available from http://www.jstor.org/pss/10.2979/jmodelite.34.2.65 [accessed 19th December 2011].

العناصر التي تؤلف جوهر الرومانتيكية وليس للعقل فيها أي دور وباختصار إن هذه العناصر تؤكد على اللاعقلانية.

إن التمييز الحاد الذي أقامه برجسون بين الذكاء والحدس، وبين العلم والفلسفة، يضرب بجذوره على نحو ثنائي في نزعته الميتافيزيقية. والمادة هي نوع من الآلة الضخمة بدون ذاكرة؛ والعقل أو الوعي هو قوة حرة أصلية وذاكرة أصلية، والقوة الخلاقة وظيفتها أن تضع الماضي فوق الماضي، كتحريك كرة الثلج، وفي كل لحظة من لحظات الديمومة في اقترابها من هذا الماضي بإيجاد شيء ما جديد ــ فهذا خلق حقيقي. والوعي ليس مجرد ترتيب أجزاء تعقب الواحدة منها الأخرى، وإنما هو العملية الشاملة التي لا توجد فيها تكرار؛ إنه حر، وفعل خلاق. ومن حيث المبدأ، فإن الوعي، موجود في كل مادة حية؛ حقاً فالحياة ليست شيئاً وإنما وعي يستخدم المادة لأنه يتوخاها. والكائن الحي هو مستودع غير محدد وقدرة غير متوقعة، ومستودع للفعل المحتمل أو الاختيار. والحياة تقيد ذاتها بمرونة معينة في المادة، وتحولها لصالح الحرية عن طريق النفاذ إلى جزء متناهي الصغر تماماً لمادة جامدة غير محددة يمكن أن توجد. والحيوان يؤدي حركات إرادية بإنتاج ذرة متناهية الصغر التي تبدأ بتخزين الطاقة المحتملة في النظام الفسيولوجي على نحو بسيط.(١) فالرومانتيكية هنا تتمثل بكل وضوح في عملية الخلق أو الإبداع الجديدين، والوعي يطالعنا بكل ما هو جديد، انه عملية غير منقسمة وغير متكررة. لقد ركز برجسون النظر على الحياة وهذا هو عمل رومانتيكي، لقد ميز هنا بين المادة بوصفها آلة ضخمة خالية من الذاكرة وبين العقل أو الوعي بوصفه قوة حرة وذاكرة، ووظيفة القوة الخلاقة هي تجميع الماضي فوق الماضي، والوعي عملية شاملة غير متكررة، إنه حر وعمل خلاق ويوجد في كل مادة حية، والحياة وعي يستخدم المادة.

---

(1) Thilly Frank **A history of philosophy** revised by Ledger Wood pp:616_617.

إن الوعي هو ذلك الفعل الذي يخلق ويتعدد باستمرار، بينما المادة هي ذلك الفعل الذي لا يخلق نفسه باستمرار ولا تفنى المادة التي تؤلف العالم ولا الوعي الذي يستغل هذه المادة يمكن أن يفسر بذاته؛ فثمة مصدر مشترك لهذه المادة وهذا الوعي. إن تطور الحياة بأسرها على كوكبنا هو جهد للوصول لقوة الخلق الأصلية، عن طريق إنكار المادة، والشيء الذي يدرك في الإنسان فقط، وحتى الذي يدرك في الإنسان فقط، هو إدراك غير كامل. وفي البحث عن تنظيم المادة وجعلها أداة للحرية، فإن الوعي هو نفسه يسقط في شرك؛ فالعفوية والضرورة تقلقان الحرية، وتخنقانها على المدى البعيد. فمع الإنسان وحده ينكسر القيد؛ والدماغ البشري يمكن أن يعارض في كل عادة متقلصة عادة أخرى؛ إنه يضع الضرورة للمقاومة ضد الضرورة. فنحن أحرار حينما تصدر أفعالنا عن شخصيتنا الكاملة، وحينما تعبر عن تلك الشخصية؛ لذلك تصبح الأفعال الحقة للحرية نادرة في حياتنا.(١) إن الحياة التي ركز برجسون النظر عليها قد استحوذت على كل اهتمامه، وصبغت مذهبه بصبغة رومانتيكية. لقد ميز برجسون بين الوعي والمادة، فالوعي هو فعل خلاق باستمرار، والمادة على خلاف الوعي هي فعل لا يخلق ذاته باستمرار، فثمة مصدر مشترك لهذه المادة وهذا الوعي، فهذا المصدر هو الحياة. إن تطور الحياة بأسرها هو جهد للوصول لقوة الإبداع الأصلية، عن طريق إنكار المادة. فحرية الفعل تصدر في أساسها عن شخصية الإنسان.

وتقوم المادة بدور الحائل والمثير، وتجعلنا نشعر بقوتنا وتمكننا أيضاً من تقويتها. إن الفرح ــ وليست اللذة ــ العلامة التي تشعرنا في كل مرة بنشاطنا في التوسع الكامل، والإشارة المعبرة عن انتصار الحياة.(٢) يقول برجسون:

---

(1) Ibid p:617.

(2) Ibid p:617.

"حيثما (*) يكن فرح يكن خلق، وعلى قدر إثراء الخلق يكون عمق الفرح." (١) والعلة النهائية للحياة الإنسانية هي الخلق الذي يمكن أن يتابع في كل لحظة ومن خلال كل الرجال على السواء، خلق الذات بذاتها، والإثراء المستمر للشخصية بالعناصر التي لا تستمد من الخارج، وإنما التي أدت إلى الينبوع الصادر عن ذاتها.(٢) يتضح من كل هذا أن الرومانتيكية تتغلغل بصورة كاملة في فلسفة برجسون، فحينما يتكلم عن الفرح فإنه يميز بينه وبين اللذة، فالفرح في نظره يشعرنا بنشاطنا في توسعنا الكامل وانتصار الحياة وتلك هي علامات تعبر عن الرومانتيكية، وتعد العلة النهائية لحياة الإنسان إبداعاً وخلقاً، نقول ذلك الخلق والإبداع الذي يتابع خلق الذات عن طريق الذات من خلال جميع الرجال على السواء، إن هذه العناصر التي تثري الشخصية باستمرار إنما تأتي من خلال العناصر التي تستمد من داخلها.

وفي إطار الرومانتيكية التي تغطي فلسفة برجسون نجد أن مرور الوعي عبر المادة هو مقدر بالوصول إلى الدقة ــ وفي صورة الشخصيات المتميزة ــ الميول أو الإمكانيات التي تشوش للوهلة الأولى، وتسمح أيضاً لهذه الشخصيات أن تختبر قوتها بينما هي في نفس الوقت تزيدها بجهد الخلق الذاتي. لكن الوعي أيضاً ذاكرة، وإحدى وظائفها الأساسية أن تجمع وتحتفظ بالماضي؛ وفي الوعي الخالص لا شيء ماضٍ ضائع، والحياة الكاملة للشخصية الواعية استمرار غير قابل للقسمة. فهذا يؤدي بنا إلى افتراض أن الجهد يستمر إلى ما وراء هذه الحياة. وربما في الإنسان وحده يصبح الوعي خالداً.(٣) هنا تتجلى النزعة الرومانتيكية عند برجسون فكلامه ينصب أساساً على الخلق المستمر أو

(*) où il y a joie, il y a creation: plus riche est la creation, plus profonde est la joie.

(١) Bergson Henri – **L'énergie Spirituelle** P 18:
ــ هنري برجسون ــ **الطاقة الروحية** ــ ترجمة دكتور سامي الدروبي ص: ٢١.

(2) Thilly Frank **A history of philosophy** revised by Ledger Wood p:617.

(3) Ibid p:617.

الإبداع وعن كل ما هو حيوي، فهو يتحدث عن الوعي وعن ثراء الشخصية الإنسانية إذ الإبداع ذاته بذاته، الثراء المستمر للشخصية بالعناصر التي لا تستمد من الخارج، وإنما التي أدت إلى الينبوع انصادر عن ذاته. كل هذا يكشف عن الرومانتيكية عند برجسون.

إن الرومانتيكية لا تغادر الحياة البيولوجية إلى آفاق نظرية مجردة، وطبقاً لبرجسون، فإن جوهر الحقيقة هو التغير. وهذا هو الأكثر وضوحاً في حالة الحياة والإنسان. واعترف برجسون أن جزءاً من الواقع ثابت نسبياً، ولكن هذا ميت وغير عضوي، وليس حياً وروحياً. فهو يحكم على البحث عن عدم التغير بأنه جهد يستغل الثبات الذي يلائم عقولنا على ما هو في حد ذاته "خلق مستمر unceasing creation." باعتباره مثالاً أخيراً للإنكار الحديث للتركيب.(١) هنا أيضاً تكمن الرومانتيكية، إنها تركز على التغير باعتباره جوهر الحقيقة، وهذه الحقيقة التي استخلصها برجسون من دراساته البيولوجية تكشف عن الرومانتيكية، إن الرومانتيكية تهتم بالحياة والروح.

ثالثاً: الحدس بوصفه إدراكاً:

يرفض برجسون أن تكون الميتافيزيقا وليدة العقل أو متمركزة فيه " فكما أن العقل والمادة يتداخل كل منهما مع الآخر، فإن الميتافيزيقا والعلم، وعلى طول سطحهما المشترك، سيكونان قادرين على أن يفحص أحدهما الآخر، حتى يصبح الاتصال خصباً. " فثمة "تمدد داخل كل منهما في الآخر. " extension into each other ولقد أشار برجسون في محاضرات أكسفورد إلى أن الميتافيزيقا تتجلى كإدراك للعالم:"[بالطبع(●)]، باستخدام ملكاتنا للتصور والتأمل بدون انقطاع] والفلسفة ينبغي أن تتناول تصورات جديدة تختلف عن التصورات

(١) Tinder Glenn – **Political Thinking – The Perennial Questions** [University of MOSSACHUSETTS, Boston 1970] PP: 125.

(●) Without of course, ceasing to exercise our faculties of conception and reasoning

"المبتذلة ready-made،" و"الصارمة rigid " التي تندرج ضمن الخطوط العامة للدوجماتيقية، إنها تصورات مرنة ومتحركة.[1] من هنا يتركز الاهتمام على الإدراك والتصورات الجديدة المرنة والمتحركة، وإذا كنا نتكلم عن مرونة التصورات وحركتها هكذا فإن هذا يدخلنا في إطار الرومانتيكية.

إن برجسون يضع أمامنا عدة قضايا جوهرية وهي أن التصورات ضرورية للميتافيزيقا، وأن المفاهيم العلمية scientific conceptualization ذاتها تقوم على طبيعة الأشياء. وإلى جانب "الصيغة الرياضية" توجد رياضيات "عملية مطلقة" إنها طبيعية "في العقل الإنساني." والمفاهيم العلمية ليست بمعزل عن الحدس والعلم ينمو فوق الحدس. وعلاوة على ذلك فإن الرياضيات الحديثة تهدف إلى تتبع نمو المقادير. والميتافيزيقا، إذن، ستؤدي إلى الاختلافات والتكاملات النوعية. والسياق ذاته للتكوين العلمي scientific formulation يعد بديهياً[2]. هنا يصبح لدينا تصورات ومفاهيم بالإضافة إلى الرياضيات العملية المطلقة الطبيعية في العقل الإنساني. ومن ثم فالحدس منظور إليه من جهتين: الأولى أن المفاهيم العلمية تتصل به، والثانية أن العلم ينمو ويزدهر على أساسه، وعلى هذا فإن الميتافيزيقا ستقود إلى الاختلافات والتكاملات النوعية، والإطار العلمي في حد ذاته يعد بديهياً. هنا تتألق الرومانتيكية تألقاً واضحاً فالتصورات التي تخص الميتافيزيقا تتسم بالمرونة والحركة. والمفاهيم العلمية ترتبط بالحدس. والعلم يتأسس على الحدس، فتلك منظومة رومانتيكية متكاملة.

إن أفكار العلم الحديث العميقة والخصيبة تمثل مجموعة من النقاط المرتبطة بجريان الواقع، إنها لا تتجمع عند نفس النقطة، ومن ثم فالعلم الحديث لا يندرج في إطار ما يمكن أن يسمى بعلم فلسفي، أو فلسفة يمكن تصورها على

([1]) Jr. Bielland Andrew and Patrick Burke – **The Incarnate Subject** – Translation by Paul B. Milan [Humanity Books United States of America 2001] P: 115 available from www.prometheusbooks. Com [Accessed 28th September 2011] .

([2]) **Ibid** p:115.

أنها كالعلم. والعقل الخلاق سيميز بنفس الروح بين مجالين واضحين، الكينونة السامية الواضحة لـــ " للفكرة الجديدة الراديكالية والبسيطة المطلقة،" the radically new and absolutely simple idea فغموضها نفسه يزيل الغموض .It self obscure... dissipates obscurities، وهكذا فإن الجهد يؤدي دوراً أساسياً في تناول الحدس.(١) فجريان الواقع إذن يرتبط به مجموعة من النقاط التي تمثلها أفكار العلم الحديث، إن هذه الأفكار تتسم بخصوبتها وعمقها، وإنها لا تجتمع عند نفس النقطة. والحدس يتم تناوله بفضل الجهد. ومن علامات الرومانتيكية هو تأكيد برجسون على مسألة تمييز العقل الخلاق بين الكينونة الواضحة للفكرة الراديكالية الجديدة والأخرى البسيطة المطلقة حيث غموضه يزيل الغموض، إن هذه تعبر عن جمال الكلمات وعذوبة اللغة الرومانتيكية، وحينما نتمعن عمق هذه العبارة وحينما تسري داخل ذواتنا فإنها تشعرنا بحقيقة تكشف عن نفسها حينما تتكشف ويزول غموضها، إن هذه الروح هي روح الرومانتيكية.

إن دور الحدس ينصب بالنسبة للتفلسف في حمل الذات إلى داخل ذلك الواقع العيني المشخص، وهذا الأخير ينطوي على الموضوع ونقيضه، العقل والمادة، الميتافيزيقا والعلم. وتبعاً لاعتقاد برجسون ينحصر الحدس في إطار النقيضين، وإدراك الحدس ينصب على الوحدة والانفصال معاً، وبغير ذلك ننزلق إلى الدوجماتيقية، وإذا كان الواقع الحقيقي المشخص يستوعب في داخله الموضوع ونقيضه فإن الديمومة هي هذا الواقع المتناقض، وفي الحدس فإن التوافق يتشابك مع الحركة الترانسندنتالية. وتبعاً لبرجسون فإن توافقنا يتحقق مع الحركة المتجذرة داخل أنفسنا. إن حدس ديمومتنا لا يقودنا إلى تحليلات محضة، إنه يصلنا بالآماد المتواصلة التي نتتبعها إما في حركتها التصاعدية أو التنازلية وسواء تنازلياً أو تصاعدياً فإننا لابد أن نوسع ذواتنا بلا حدود ونتعالى على

---

(١) **Ibid** p:115.

أنفسنا. [1] إن هذه العملية تكشف عن طبيعتها الرومانتيكية، فالحدس يحمل الذات إلى داخل الواقع الحقيقي المشخص وهذه تعبر في أساسها عن عمل رومانتيكي، فالحدس ليس بعيداً عن الموضوع ونقيضه، إنه يتصل بالميتافيزيقا والعلم معاً، وفي الحدس فإن الإدراك ينصب على الوحدة والانفصال، إنه لا يقتصر على أحدهما دون الآخر، وهذه سمة برجماتية أيضاً. وأن الرومانتيكية تحملنا إلى القول بأن الديمومة هي الواقع المتناقض، إن الرومانتيكية على هذا النحو الذي نراه في فلسفة برجسون والذي يعد الحدس والديمومة والواقع المشخص من مكوناتها الأساسية نقول تعد هذه الفلسفة مضادة للعقل. فهي لا تقوم على تحليلات مجردة وإنما تتبع من ذواتنا.

إن "التجاوز" transcend: الكلمة موجودة. والتعاطف لم يعد ينحصر هنا في "جعل الذات عضوية،" وإنما يفترض الجهد لكي يسترجع الشيء على أنه معروف. ولدينا وسائل هذا التجديد في ذواتنا، وبالتالي إضفاء معنى على الحياة ثانية. ويصبح الحدس اجتماع إشارات وأفعال لأجل المعنى. فلم يعد التعاطف استقبالاً، وإنما بالأحرى إدراكاً.[2] من هنا يتحقق الارتباط الوثيق بين الرومانتيكية والترنسندنتالية. فالمذهب الترنسندنتالي يقوم على الأفكار الرومانتيكية كمعرفة الذات، واحترام النفس.

إن هذا ما يجعل المحاضرة بكل دقة ممكنة عن "الحدس الفلسفي philosophical intuition". وإذا كنا نعتقد بأن كل النظم بالنسبة لبرجسون، تتضمن حدساً مركزياً. وإذا كنا الآن نحتفظ بأول فلسفته، فإنه هنا يجب أن يكون في كل نظام تعددية من الحدوس. وإذا كان الحدس توافقاً بسيطاً، فهنا لابد ألا يكون في كل فلسفة عظيمة هذا الإعراب عن باطن الموضوعات، ولابد ألا نكشف عن ذلك الموضع كمنطق الحدس logic of intuition. إنه بسبب

([1]) **Ibid** p:116.
([2]) **Ibid** p:116 – 117 .

الحدس تكون حركة الفهم أي حركة الفهم التي تشكل حدوس الفلسفة النوع العضوي أو نوع النظام. "المعنى،... أقل شيء يعتقد من حركة الفكر، وأقل حركة من الاتجاه." لهذا، يوجد بالتأكيد منطق للحدس ومعنى للفلسفة: والتصور يرسم [في ١٩٠٣ في مقدمة للميتافيزيقا] يترك المزيد من الإمكانيات في اتحاد العقل بالحدس من التصور الذي يظهر في المادة والذاكرة.[١]

---

(١) **Ibid** p:116 – 117 .

نتائج البحث

في ضوء هدف هذه الدراسة وهو الكشف عن النزعة الرومانتيكية في فلسفة برجسون وبيان الاختلاف بين وظيفة العقل ووظيفة الحدس وكيف يمكن عن طريق الاتحاد بين العقل والحدس أو العلم والميتافيزيقا الوصول إلى الحقيقة النهائية أو الواقع الحقيقي. فقد انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولاً: إن فلسفة برجسون تتسم بأنها رومانتيكية. ونزعته الرومانتيكية تكشف عن نفسها في اهتمامه بعلوم الحياة. فالوعي والذاكرة والديمومة ووثبة الحياة كلها عناصر أصيلة تؤلف جوهر الرومانتيكية. وتكشف الرومانتيكية عن نفسها في الوثبة الحيوية. إن هذه الأخيرة يمكن أن تقدر بنوع عاطفي سام. وينبغي أن تكون هي ذاتها مماثلة للوعي الذي تخرج منه الحياة وكل إمكانياتها الخلاقة. إنها تتمثل في قوة الإبداع التي تدخل في استمرارية دائمة عبر كل الأشياء، وكل الأشياء مدفوعة بها، وتلك هي الرومانتيكية. وفي إطار الرومانتيكية يوجد ارتباط وثيق بين التطور والوثبة الحيوية، ومن ثم فإن الوثبة الحيوية تفسر عن طريق التطور. وتكشف الرومانتيكية أيضاً عن نفسها في أن الوثبة الحيوية تقود العضويات ككل نحو أكثر أنماط التنظيم تعقيداً وارتفاعاً بصورة مستمرة.

ثمة تشابه واضح بين فلسفتي كلٍّ من وليم جيمس وبرجسون ويتجلى هذا في الاهتمام بفكرة العمل، والنظر إلى العقل على أنه قوة برجماتية، وأداة للعمل الذي يحقق فائدة أو نفعاً، إنه آلة عملية في يد الحياة، وميدان عمله الحقيقي عالم الأشياء المادية، ومن ثم لم يعد ينظر إليه على أنه قوة سامية نبعت من أصل سام. وبالطبع تختلف الرومانتيكية على هذا النحو عند برجسون عنها عند هيجل، فالرومانتيكية في حالة هيجل تركز على جانب التغير في العقل نفسه والحركة الدائبة في تصوراته الأساسية.

ثانياً: تتجلى الرومانتيكية عند برجسون في قوة الحدس، إنها تستوعب في داخلها حدساً جديداً لا عقلياً، إنه قوة روحية تشبه الغريزة. ومن خلاله ندرك الصيرورة والديمومة والوعي الباطن. فالحدس ليس وعياً غامضاً، وإنما هو خلاق دائماً، ومن ثم فإنه يتسم بالقدرة على الإبداع والخلق في ميدان العالم الحقيقي. والوعي يطالعنا بكل ما هو جديد، انه عملية غير منقسمة وغير متكررة.

إن قوة التعمق التي أشار إليها برجسون داخل ذواتنا كميل أول للحدس وعملية الارتداد إلى السطح كميل ثانٍ، إنما تعبر عن نزعة برجسون الرومانتيكية، وتتجلى الرومانتيكية عنده أيضاً في الاتصال المباشر بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي. كما تحمل عملية الانطلاق من الأعماق إلى السطح الاتصال بالعلم وعدم الانفصال عنه.

ثالثاً: إن الحدس في اتصال مستمر بالديمومة الباطنة، والذات الإنسانية تستطيع أن تدرك جانباً من الحقيقة في نقائها الطبيعي، إن هذه العناصر الداخلية تؤلف جوهر الرومانتيكية. وثمة توسعات تعبر عن الرومانتيكية في حركتها واستمراريتها، منها بلوغ الذات اللاواعية والوعي في عمومه والتحول إلى الحياة وأخيراً الانتقال إلى المادة غير العضوية.

تتألق الرومانتيكية تألقاً واضحاً فالتصورات التي تنتمي إلى الميتافيزيقا تتسم بالمرونة والحركة. والمفاهيم العلمية ترتبط بالحدس. والعلم يتأسس على الحدس. فالحدس يحمل الذات إلى داخل الواقع الحقيقي المشخص.

وتعد الرومانتيكية في فلسفة برجسون وبما تتضمنه من حدس وديمومة وواقع عيني مشخص مناهضة للعقل. فهي لا تقوم على تحليلات مجردة وإنما تنبع من ذواتنا. إن عمل الرومانتيكية من خلال التعاطف لا يقتصر على جعل

الذات عضوية وإنما يمتد ليشمل الجهد أيضاً. والتعاطف يصبح إدراكاً إلى جانب كونه استقبالاً.

قائمة المراجع الأجنبية

أولاً المصادر:

[1] Bergson, Henri – Essai sur les données immédiates de la conscience [Pierre Salamé phD, strasbourg, France, 2003]. available from http://www. Alexandra Ahlamontada. Com [accessed 14th December 2012]. 191. pair. Com/sociomjmt/ [accessed 21 th December 2012] .

ـــ هنري برجسون ـــ بحث في المعطيات المباشرة للوعي ـــ الطبعة الأولى ـــ ترجمة د. الحسين الزاوي ـــ مراجعة د. جورج كتورة [المنظمة العربية للترجمة ٢٠٠٩]

[2] Bergson Henri – L'énergie Spirituelle – Essais et Conférences [Paris: Les Presses universitaires de France, 1967] available from Site web: http:// bibliotheque uqac uquebec. Ca/ index. htm.

ـــ هنري برجسون ـــ الطاقة الروحية ـــ ترجمة دكتور سامي الدروبي ـــ [الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١].

[3] Henri Bergson – L'evolution creatr ice [presses universitaires de france 1948].

ـــ هنري برجسون ـــ التطور الخالق ترجمة دكتور محمد محمود قاسم [مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤] .

ثانياً المراجع:

[1] Barnes Harry Elmer __ History of historical Writing __ Second Revised Edition _ Dover Publications, INC. [New York 1963] pp:178.

[2] Dewey John Reconstruction in philosophy (a mentor books published by the new American library1954).

[3] Sahakian William S. , Mable Lewis Sahakian – Ideas of The Great Philosophers [New York 1966].

[4] Schweitzer – pilgrimage to humanity , Translated by walter E. stuermann [university of Tulsa wisdom Library].

[5] Singer Peter, Hegel Oxford University [Press – 1982].

[6] Stumpf Samuel Enoch Socrates to Sartre A history of philosophy (The McGraw hill companies 1999).

[7] Thilly Frank A history of philosophy revised by Ledger Wood (Henry holt and company, new York 1953).

[8] Tinder Glenn – Political Thinking – The Perennial Questions [University of MOSSACHUSETTS, Boston 1970].

[9]Tomlin E.W.F .The great philosophers The western world (Skeffington and son Ltd,founded 1958).

ثالثاً المقالات:

[1] Başar and Güntekin Bergson's intuition and memory vol7 issue4 [NeuroQuantology 2009] Available from Www. neuroquantology.com[accessed 2October 2011].

[2] Gontarski S.E. – "what it is to have been": Bergson and beckett on Movement, Multiplicity and Representation – Journal of Modern Literature @ [Indiana university press 2011] available from http://www.jstor.org/pss/10.2979/jmodelite.34.2.65 [accessed 19th December 2011].

[3] Grosz Elizabeth – Bergson, Deleuze and the Becoming of Unbecoming – Vol 11, no. 2, [Parallax, 2005]. available from – http://www. tandf .co. uk/journals [accessed 2, October 2011].

[4] Jr. Bielland Andrew and Patrick Burke – The Incarnate Subject – Translation by Paul B. Milan [Humanity Books United States of America 2001].available from www.prometheusbooks. Com [Accessed 28th September 2011].

رابعاً الانترنت:

[1] http://www.angelfire.com/md2/timewarp/bergson.html

[2] http:// www. Elmessiri. Com/ encyclopedia/ Jewish/ encyclopid/ Mg3/ Gz2/ BA12/ MD08/ Mo346.HTM .

[3] http:// Plato.stanford.edu\entries\bergson.

قائمة المراجع العربية

[١] أ. بروني ــ **مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا** ــ الجزء الثاني ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوي [دار النهضة العربية ١٩٦٧].

[٢] إ.م.بوشنكسي ــ الفلسفة المعاصرة في أوربا ــ ترجمة د.عزت قرني [سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٢] .

[٣] دكتور حسن حنفي ـــ **مقدمة في علم الاستغراب** ــ [الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٩٩١].

[٤] فرانكلين باومر _ ل:ــ الفكر الأوروبي الحديث ــ الاتصال والتغير في الأفكار من ١٦٠٠ إلى ١٩٥٠ ــ الجزء الثالث (القرن التاسع عشر) ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود [الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩].

[٥] دكتور محمد ثابت الفندي ــ مع الفيلسوف[دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧].

[٦] دكتور مراد وهبة ــ المذهب في فلسفة برجسون ــ الطبعة الثانية [مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٨].